

اعلام العرب

١٧٤

الذكور نجيب محفوظ

رائد أطباء النساء والولادة

د. محمد محمد الجوادى



المجلة العربية للدراسات والبحوث

اعلام العرب

(١٢٤)

الدُّكْتُورُ نَجِيبٌ مُحَمَّدٌ فُؤَادٌ

رَائدُ أَطِبَّاءِ النِّسَاءِ وَالوِلادَةِ

د . مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ الْجَوَادِي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٦

الاخراج الفنى

راجية حسين

اهداء

الى اخى الدكتور سامح خميس هلال
عرفانا بفضلته ، وتقديرنا لخلقته ، واعتزازنا بشخصته
الكريم .

مقدمة المؤلف

هذا كتاب عن الدكتور نجيب محفوظ باشا أول
اطباء النساء والولادة في بلادنا ، يواصل به المؤلف سلسلة
من كتبه عن اصحاب الفضل في التقدم الهادىء الذى اصاب
هذا الوطن والتي انتظمت من قبل كتبنا لاقى التقدير
والاقبال عن الدكتور محمد كامل حسين والدكتور
على مصطفى مشرفة والدكتور احمد زكى والمشير احمد
اسماعيل والدكتور على ابراهيم والدكتور سليمان عزمى
والشهيد عبد المنعم رياض .

ومن نافلة القول ان كتابة هذه الكتب لم تكن بالمهمة
اليسيرة ، ولا بالمهمة المكررة فكل من هؤلاء متفرد فى كثير
مما اتسمت به حياته . . على ان الصعوبة كانت تختلف من
كتاب لآخر . وفى كتاب نجيب محفوظ تمثلت الصعوبة فى
كم هائل من التقارير والتكريمات عن الرجل على حين ندرت
الكتابات عن مراحل وصوله الى العظمة فى كل جانب من
جوانبها .

ومن أصعب الأمور على الكاتب الدارس أن يجد نفسه في مثل هذا المناخ الذي يتيح له مونولوجا من الحديث من دون أن يتحداه ديالوجا بين الوجوه المختلفة للعملة الواحدة .. بل قد يكون هذا هو أصعب ما واجهته في كل ما كتبت .. هل تعرف الصعوبة التي يلاقيها الذين يمشون على الحبل المشدود حتى يصلوا بسلام .. فلا تسمع عنهم الا الخير . هكذا كان محفوظ باشا الذي لم يكن له - على الأقل فيما بقى لنا الى اليوم - ذلك الصراع الشديد في خضم الحياة بما فيه من عداوات ومبالغات في الحب والانتقاد وانما كان من الذين « لا يعاديهم أحد » .. وهو شيء جميل حقيقة ولكنه ليس موطن العظمة على اى حال ، وخصوصا في نجيب محفوظ .

كان على المؤلف اذن أن يكون كيشوتيا او ديكارتيا حين يعالج الكتابة عن رجل من هذا الطراز ، فاما أن يخلق له معارك ويخوض به فيها ، واما أن يتشكك في كل ما ترك نجيب محفوظ ليصل الى تقدير آثاره حق قدرها .

ولم يكن هذا ولا ذاك في وسع المؤلف طيلة السنوات الست (١٩٨٠ - ١٩٨٦) التي امتدت طوالها كتابته لهذا الكتاب مع انه قد يكون من المستحيل أن يصدق احد ان كتابة هذا الكتاب الصغير التي لم تنته الا في ١٩٨٦ بدأت عام ١٩٨٠ !

هذا الكتاب اذن ليس نتاج حالة نفسية واحدة ولا متقاربة ، وانما فيه صورة من طالب طب يدرس مقرر النساء والولادة حين كان في السنة الرابعة على أساتذته الكبار من تلاميذ مدرسة نجيب محفوظ .. ثم يدرس

مقررات غيرها حتى ينال البكالوريوس ، ويعارس العمل طبيا تحت التدريب (امتياز) ثم طبيا مقيما (نائبا) لفرع آخر غير الذى كان نجيب محفوظ رائده .. وفى الكتاب أيضا صور من هذا الشاب يستقبل الدنيا العملية ، ثم بعد أن استقبلها بالفعل .. وفيه صورة من هذا الشاب يصيبه تقدم الشباب بشيء من الحرص على الشباب نفسه فيما يكتب وفيما يفكر ، وفيه بعد ذلك كله صورة واضحة لأراء نمت ، أو كان من المفروض أن تنمو ، ولمعلومات فى ذات الموضوع تكاملت أو حتى تراكت .

ليس هذا باعتذار عن روح متناسق قد يفتقدها هذا الكتاب ، فقد لا يزعم المؤلف أنه يفخر فى هذا الكتاب بشيء أكثر مما يفخر بهذا الروح المتناسق .



كان نجيب محفوظ عالما عصاميا علم نفسه فى وطنه وخرج من التجربة بأعظم ما تكون الخبرة والعلم معا ، وأتيح له طول فى العمر مكنه من انجاز كثير من العمل العلمى الجاد الذى رفع من قدره داخل حدود وطنه وخارجها .

ومع هذا فان نجيب محفوظ يعد بلا شك أبرز دلالة على عظمة الحضارة الإسلامية التى مكنته - كما مكنت أسلافنا له فى القرون الخوالى - من أن يلعب لها هذا الدور الرائد والبارز والخالد فى آن واحد .

كان نجيب محفوظ قبطيا من نسيج المجتمع المصرى ، كانت صلته التاريخية والحقيقية بهذا المجتمع أعمق كثيرا جدا من صلة كثير من أفراد طبقات وفدت على هذا المجتمع

بحكم ظروف الدولة العثمانية في اواخر عهدها ، ولم ينفصل محفوظ ابدا عن هذا المجتمع حتى بعد ما صارت له مكانته الدولية ، وتهيأ له من رغد العيش ما يمكنه من حياة يومية اوربية الروح وان كانت مصرية المكان ، ولعل الاعظم من هذا ان محفوظ باشا لم ينفصل عن المقومات الحقيقية للحضارة التى كان هو واحدا من اعلامها (ومن ثمارها ايضا) .. والدلائل على هذا كثيرة لعل أبرزها هو ذلك التراث العلمى الرفيع الذى تركه نجيب محفوظ فى لغة عربية رفيعة المستوى فى كل ما امكنه أن يكتب فيه من فروع تخصصه .. وكان فى وسع محفوظ أن ينصرف فى مؤلفاته الى (الرطانة) بالانجليزية فحسب ، ولكنه كان فى الواقع يدرك حقيقة دور العالم الوطنى الرائد لأنه كان ذلك الرجل فعلا .



ولعل من هذه الدلالات ايضا ان نجيب محفوظ استطاع ان يقنع هذا المجتمع المصرى المحافظ المتدين بطبعه وطبيعته وطباعه بدور محدد للمرأة فى النظام الطبى بدءا بقصر التمريض عليها وامتدادا الى تثقيف الدايات والمولدات والقابلات ، والى مشاركة فعالة (لأسرته) فى الخدمات الاجتماعية البناءة .. ولم يكن محفوظ وهو يؤدى دوره فى هذه الناحية بالسياسى يكثر من التصريحات ، ولكنه كان ذلك السياسى الآخر الذى يغير فى صمت متخذا من العقول التى اقنعه ، والقلوب التى احبته ، والفكر الذى ميزه به الله ادواته الى التغير الهادئ المستقر الذى لايمكن الانقلاب عليه بعد ذلك .

لم يؤسس نجيب محفوظ مدرسة من الاطباء فحسب ،
ولكنه أسس مدرسة أخرى موازية من المولدات والمرضات ،
ولم يؤد دوره في الخدمة الطبية في كلية الطب فحسب ،
ولكنه تعداها الى خارجها في كثير من المستشفيات الخاصة ،
ولم يمارس فنّه في أسرة المستشفيات فحسب ولكنه خرج
به الى وحدات صحية موازية للمستشفيات ترفع عنها
العبء .



صاغ نجيب محفوظ خبرته الاكلينيكية الطويلة في
اطلس كبير هو الى اليوم مفخرة له ولجامعته ولوطنه ،
وعرضها في متحف كبير هو الى اليوم ايضا مفخرة له
ولجامعته ولوطنه ولتخصصه ايضا ، وترك من التراث
العلمي آثارا تستحق التقدير لما افيها من جهد وصدق ..
لا ابعد عن نفسي وقلمي ذلك الدافع الملح الذي يدفعها الى
أن تطلع الناس على تعبير محفوظ في تسمية الأجنة ناقصة
النمو « بالمتلهوجة » .



كان نجيب محفوظ علما في زمن كانت بلاده تجاهد
بين علمين ، علمها وعلم امبراطورية لا تغيب عنها الشمس ،
واستطاع نجيب محفوظ أن يكون نموذجا للرجل الذي افاد
واستفاد من الانجليز في احترام متبادل ، كان بجهد يضاعف
هؤلاء بحيث لا يمكن لهم الا ان يقدموه على انفسهم في ديارهم ،
ولم يكن هذا بالانتجار الهين ، ولكنه كان بالطبع جهد طراز
ليس من الصعب على طائفة كثيرة من المصريين ان يكونوه .

كان محفوظ باشا واحدا من هؤلاء بالطبع ، وواحدا من أبرزهم بلاشك ، وكان معه اعلام آخرون بادلوه وبادلهم التعاون والاحترام حتى وان لم يلتقوا ابدا وجها لوجه - وصاغوا جميعا بتعاون لم يكن له ميثاق مكتوب تجربة لمصر الحديثة في وضع اقدامها على طريق التقدم والارتباط بالعلم بعد ثوراته المتتالية والارتباط بالعالم من خلال العلوم والعلماء .

وجاء جيل تال آثر ان يرتبط بالعالم وحركات التحرر فيه ، وان يرتبط من خلال هذا بالعلم في هذه الدنيا .

ثم اشرقت علينا شمس - لا تغيب الا لتشرق - فاذا نحن بين الامرين ، لا ندري هل نبدا بالعلم ثم نفتح على الناس بما نعرف وهم يسبقوننا ام نفتح على من يعرفون فتأتينا المعرفة وقد سلكت سبيل الاستطراق في الأوانى !

وقد تكون المفاضلة بين هذين البديلين من اصعب الامور واعقد الرؤى ، ولكن الذى لا جدال فيه ان صياغة المازق الذى نحن فيه اليوم على هذا النحو من التبسيط الشديد ليست تبسيطا بقدر ما هى تعبير عن وضوح الرؤية في الفرق بين نور الشمس ونور القمر .. وهذا الكتاب ليس الا محاولة لتدريب العين - عين المؤلف قبل عين القارئ - على التمييز بين هذين النورين .



وهذا رجل ليس له من المقومات الأجنبية شيء على الإطلاق في حياته كلها .. وقد خرج الى الوجود وكاد ان يدرج في عداد من لا وجود لهم .. ولم تكن حياته فرصا بقدر ما كانت جهادا .. ولم يلق في تعليمه العالى تعليما ممتازا

ولا شبه ممتاز ، ولا لقي بعده تدريباً مبرمجاً ولا شبه مبرمج ، ولم يكن له استاذ بالمعنى المعروف ، ولم يكن له تخصص كآلاف التخصصات الموجودة اليوم .. ومع هذا بلغ ما بلغ ... ولم يكن في هذا وبعد هذا وحيد عصره ولكنه كان كما اسلفنا واحداً من امثلة كثيرة لطراز ممتاز .

وهذا كتاب لا يفعل الا ان يروى كل ذلك في تنظيم وصدق ، وان يستعرض التجارب في دقة وانصاف ، وان يجرد الامجاد من بهرجها ليظهر معدنها الذي هو انفع من مظهرها . وان يرتب ذلك كله على النحو الذي يليق بتاريخنا الحقيقي (او الاحق) وهو التاريخ العلمى .

فاذا خرج القارئ بعد قراءة هذا الكتاب ببعض ما يساعده على الاختيار بين الانفتاح على العلم وبين الانفتاح على من عندهم بعض ثمار العلم فقد نجح المؤلف .. واذا لم يكن من نصيب المؤلف النجاح فى هذا فيكفيه ساعته ان القارئ قد استمتع بقصة نجاح حقيقية .



يتناول الباب الأول من هذا الكتاب حياة نجيب محفوظ .. هل يعيد المؤلف عبارته التى تعبر عن منهجه فى كتابة مثل هذا الباب فيقول « كما اراد لها الله ان تكون » .. ولهذا فان هذا الباب يتبدى من عام ١٨٨٢ وينتهى عند آخر تكريم رسمى حظى به نجيب محفوظ يوم منح الرئيس السادات اسمه (مع اسم على باشا ابراهيم) قلادة الجمهورية فى عيد الطب الاول (١٩٧٩) .

ولا يجد المؤلف حرجاً فى ان يتضمن هذا الباب بعض

الفقرات التى تصور بيئة - قد تباعدت بعض الشيء عاشرها
هذا العالم الجليل .



ويتناول الباب الثانى شخصية نجيب محفوظ ،
فيحاول المؤلف أن يستعرض كل ما أمكنه من نواحي العظمة
فى هذه الشخصية العظامية التى آمنت بالعمل ، وبقيمة
العمل الهادى ، مع انه لم يكن بعيدا عن الأضواء بعد
الرهاب .. وآمنت بالبعد عن الغرور .. وكيف كان هذا
الرجل قدوة بالفعل .. ويتحدث هذا الباب عن ذلك السلام
الداخلى الذى كان بين نجيب محفوظ وبين نفسه ، وبينه
وبين الناس وكيف اكتملت شخصيته ، وكيف استقام فى
حياته ، وكيف واطب على خطاه فى سبيل مجده ، وكيف
احترم وقته ووقت الناس ، وكيف وفق بين ما يمليه عمله
على وقته ، وما يؤمله هو من وقت للبحث العلمى .. وكيف
كان حريصا على صورته عند الناس ، وعلى صورته عند
نفسه ، وكيف اتخذ لنفسه مثلا عملية من الروحانيات وكيف
اعتز بأصوله وفروعه الى آخر تلك الطائفة من القيم الهامة
التي سادت حياة عالمنا الكبير .

ويعرض الباب الثالث شخصية العالم فى نجيب محفوظ
طبيب امراض النساء والولادة وكيف تنامت هذه الشخصية
حتى لعبت دورها فى الريادة الحقيقية . ويضم هذا
الباب بالطبع بعض آراء زملاء الرجل فى هذا الشأن .



ويتناول الباب الرابع قدرات نجيب محفوظ البيانية ، وهو صاحب تجربة هامة في كتابة اثر أدبي عن حياته التي لم تكن حياة اديب ولا سياسي ولكنها كانت حياة مهني ، وكيف أفلح في هذه الحياة ! ، وفي رؤيته لتجربته في هذه الحياة ! ويحاول الكتاب بالطبع أن يعرض برؤية مبسطة - لا ترقى كثيرا الى كل مقومات النقد العلمى - تحليلًا لقدرات محفوظ البيانية التي كانت بلا شك تعبيرا عن شخصية علمية مكتملة .



وفي الباب الخامس حديث موجز عن آثار نجيب محفوظ العلمية ، وعن تقدير العالم لها . . ويتطرق هذا الباب الى بعض التفاصيل في تاريخ هذه الانجازات التي كان محفوظ نفسه يقدم رجلا ويؤخر أخرى وهو يبذل جهده فيها ومن أجلها .

اما الباب السادس فهو البليوجرافيا الكاملة لما كتب هذا الرجل وما كتب عنه .

دكتور محمد الجوادى

نائب طب القلب كلية

طب القاهرة والزقازيق

الباب الاول

حياة نجيب محفوظ

ولد الدكتور نجيب محفوظ يوم الخميس الخامس من يناير سنة اثنين وثمانين وثمانمئة وألف (١٨٨٢) في مدينة المنصورة في بيت مطل على النيل ، لوالدة في الخامسة والأربعين من عمرها كان لها قبله سبعة أولاد ، وقد لبثت في مخاضها ثلاثة أيام بلياليها •

ولادة ضعيف :

خرج نجيب محفوظ من بطن أمه مسترخيا كل الاسترخاء ، ويداه مبسوطتان لا نبض فيهما ، ولا تنفس له في حالة تسمى « بالاسفكسيا البيضاء » فغلب على ظن الطبيب والمولدة أن المولود قد فقد الحياة ووضعاء في اناء بجانب الشباك من دون أن يقطعوا حبله السرى والتفتوا الى العناية بالوالدة •

وبينما (ذلك الشيء الصغير) كذلك اذ جاءت خالته فلاحظت أنه يتنفس ولكن على ضعف ، فأسرت بما لاحظت الى المولدة التي أخذت تعمل على انعاشه بما أمكنها من الوسائل حتى دبّت فيه روح الحياة • وان بقي أثر البرد والشتاء قاسيا على صحته بشكل ملحوظ طيلة الشهرين الأولين من حياته •

من مدرسة الى اخرى :

بدأ نجيب محفوظ دراسته في مدرسة الأمريكان بالمنصورة ، اذ كان زوج أخته المسيو تادرس هو ناظر هذه المدرسة ، وكانت مدارس الأمريكان في ذلك الوقت لا تعنى باعداد الطلبة لنيل الشهادات فحسب ، وانما تهدف الى تنمية الثقافة العامة في نفوس طلابها ، وهو نسق لم يكن بالمعهود في معاهد التعليم المصرية الموازية ، وقد اسهمت هذه المدرسة بلاشك في خلق شخصية نجيب محفوظ التي استمرت حتى التسعين ! فقد كان للأدب وقراءته حظ وافر من برامج هذه المدرسة ، وكذلك اللغات ، وبالإضافة الى ذلك كان « المرسلون » يعنون بالخلق القويم ، وبقناع التلاميذ بشتى الطرق بالاقلاع عن تصديق الخرافات العجائزية من سحر وحسد وجن ، وقد صادفت دراسة الأمريكان هوى في نفس نجيب محفوظ « الى أن سأله معلم الجغرافية ذات يوم عن عاصمة بلوخستان فلم يجب فعنفه تعنيفا صارما لم يجد له صاحبنا مبررا فخرج بعده الى والده وأخبره بما حدث وطلب اليه أن يساعده على ترك المدرسة التي لن تحقق له أمله في الحصول على الشهادة الابتدائية التي تؤهله للالتحاق بالثانوى فمدرسة الطب » ، فوافقه الأب على رأيه .

وانتقل « نجيب » الى المدرسة الأميرية الابتدائية

بالمنصورة (١٨٩٣) وهناك ظهر تفوقه على أقرانه • وكان
أسبّاذ اللغة العربية فى المدرسة علما من أعلام الأزهر • هو
« الشيخ محمد المهدي » الذى صار فيما بعد أسبّاذا بمدرسة
القضاء الشرعى دائم الاعجاب بمواهب نجيب محفوظ فى
الانشاء •

وكان ناظر مدرسة المنصورة الابتدائية لذلك العهد هو
المرحوم أحمد بك نجيب ، الذى خلف المرحوم « أمين أفندى
سامى » وكان عسكريا فى نظامه ، فكان طابور الصباح تجربة
قاسية لتلاميذه ، لأنه كان يشق الصفوف كأنه ضابط عظيم فاذا
رأى حذاء غير لامع ، أو وقفة غير منتصبة ، لم يسلم صاحبها من
لطة أو ضربة بالمسطرة •

وفى نهاية سنة ١٨٩٥ سافر تلاميذ السنة الرابعة ليؤدوا
امتحان الشهادة الابتدائية بالقاهرة ••• سافر « أبناء الذوات »
منهم بالدرجة الثانية وسافر الباقون فى الدرجة الثالثة ،
فلما ظهرت النتيجة لم ينجح أحد من ركاب الدرجة الثانية !

وهكذا جمع نجيب محفوظ منذ بداية تعليمه العام بين
مزايا نوعين منه ، ولو قدر له أن يمضى فى أحدهما من البداية
الى النهاية لما كان - فى الغالب - ليكون له ذلك المستقبل
الباهر الذى حققه ، حين اتيح له أن يجمع الى رفعة العلم ، رفعة

فى الشخصية وتكوينها وسعة فى الأفق أسهمت فى تكوينها —
هاتان الدراستان المتباينتان ، بكل ما فى كليهما من فضائل
ومميزات ، وتباينهما كذلك ، فلا مرأ أن الفتى الذى يتاح له أن
يقارن — بينه وبين نفسه — بين المتباينات قريبة الأثر من حياته
يخرج الى الدنيا من بعد ذلك بأفق فيه من السعة قدر كبير •

عاش نجيب محفوظ طفولة لم تخل من المباهج ، وحين
تحدث عن طفولته فى كتابه كان حريصا على أن يسجل « أنه
كان يقرأ كثيرا ، فى مكتبة والده ، ومن الصحف والمجلات
العلمية الدورية التى كانت مع زوج أخته المسيو تادرس » ، قرأ
نجيب محفوظ من أعداد مجلة المقتطف ، تلك التى كانت فيها
مقالات الأستاذ الكبير شبلى شميل ، وهى المقالات التى ترتبط
فى أذهان مثقفينا بالتطور ، ودارون ، فقد كان شبلى شميل
من أوائل المبشرين بها ، ولكن نجيب محفوظ يضيف الى هذه
مقالات شميل عن اكتشاف كوخ ميكروب الدرن •• ويذكر
نجيب محفوظ أنه « اختار دراسة الطب عن طريق القراءة » •

ويعتز عالمنا بأن يروى أنه قرأ فى مكتبة والده ما صدر
من كتب المؤتمر الذى عقد فى الهند بين المسيحيين والمسلمين مثل
« اظهار الحق » ، « الهداية » ، « سوسنة سليمان فى أصول
العقائد والأديان » ، « معانى الصلاة » •• ولكن نجيب محفوظ

يذكر أن أكثر الكتب التى لايزال يدين لها بالحب مما قرأ فى صباه هى كتب الأدب العربى القديم .

أزمة عاصفة :

كان والد نجيب محفوظ من تجار المنصورة ، الذين يمارسون تجارة المحاصيل الزراعية وبصفة أساسية ، القطن ، وكانت المنصورة من عواصم التجارة ذات الشأن ، وكان فيها كثير من الطليان واليونان ، اتصل بهم والد نجيب محفوظ ، وتدعمت صلته بهم ، ووثقوا به ، وعهدوا اليه بكثير من شئون حساباتهم ومالياتهم ، فانهال عليه الكسب ، وعاش مع أسرته فى رغد من العيش ... ولكن هذا الوالد لم يلبث أن توفى ، وهو فى الثالثة والخمسين من عمره ، وكان نجيب لايزال صغيرا ، وكذلك أشقاؤه ، فأحيلت أمورهم وممتلكاتهم على أوصياء ، يصفهم نجيب محفوظ بأنهم لم « يتمتعوا بحظ من الأمانة يحول بينهم وبين أكل أموال اليتامى والتفريط » ، واستولى هؤلاء على أموال الصغار ، ونعموا بها ، واضطر شقيقه الكبير الذى كان يكبر نجيب بخمس سنوات الى قطع دراسته فى المدرسة الخديوية ليعمل فى وزارة الاشغال بمرتب قدره ستة جنيهات .

وما هى الا ثلاث سنوات حتى لحقت الوالدة بالوالد بعد ما أصابها مرض السكر ، وتبين لنجيب وأخواته « أن التركة مثقلة ، فباعوا العقارات ، وبعض الفدادين » .

في شارع الفجالة :

وانتقل نجيب محفوظ ليعيش في القاهرة ، مع شقيقه ، الموظف في وزارة الاشغال ، في شقة ، في شارع « الفجالة » ، ولم تكن هذه الحياة بالميسرة ولا الهائلة ، انما عانى نجيب محفوظ من ضيق العيش ، وقسوة الحياة نوعا ما ، وأصابه فيما أصابه التهاب رئوى .

والتحق نجيب محفوظ بالمدرسة التوفيقية الثانوية ، وهي حيث هي الآن من شبرا ، وكان طلبتها يومئذ من طبقة الأغنياء (الا صاحبنا) ، وأظهر نجيب محفوظ من التفوق في دراسته ، والمثالية في سلوكه ، والهدوء في طباعه ، والرقى في تعبيره ، والمواظبة على الأنشطة ما ظل محفوظا في ذاكرة زملائه جميعا بعد ذلك بسنوات وسنوات ، ولم يكن حال أساتذته في هذا بأقل من حال زملائه .

بيئة القاهرة :

على أن من أطف ما يمكن للمؤلف أن يقدمه لقرائه في هذا الكتاب هو ذلك الوصف البديع والدقيق في آن واحد الذى كتبه المؤرخ الكبير الأستاذ أحمد عطية الله لبيئتي التعليم الثانوى ، والقاهرة التى عاشها نجيب محفوظ حين كان طالبا في المدرسة التوفيقية الثانوية ، قال الأستاذ عطية الله رحمة الله عليه : - التحق التلميذ « نجيب محفوظ » بالقسم الانجليزى

بالمدرسة التوفيقية بشبرا في عام ١٨٩٥ ، وكانت شبرا في ذلك العهد غير شبرا الحالية •

كان الذهاب الى ذلك الحى يحس بأنه ذاهب الى بعض بلاد الريف فاذا ما عبر كوبرى شبرا القديم مر « بقصور الشوام » وكانت هذه « القصور » عبارة عن حدائق تسكنها الطبقة الثرية من السوريين في القاهرة • أما شارع شبرا فكان طريقا تحف به الأشجار الباسقة كشوارع الهرم ، وكانت تمتد على جانبيه الحقول والرياض تتخللها قصور فخمة أشهرها قصر قنصل العجم ا •

وكانت تمتد أمام المدرسة التوفيقية حديقة عامة تدعى حديقة « شيكولانى » تنتهى بقصر من قصور الخديوى اسماعيل ... وكان تلاميذ المدرسة التوفيقية يقيمون « سباق ربع الميل » فى هذه الحديقة ، أما وراء ذلك فكانت حقول خضراء يتوسطها قصر محمد على ... وفى ذلك التاريخ لم تكن خطوط الترام قد امتدت فى شوارع القاهرة ، فكان تلاميذ المدرسة التوفيقية ينتقلون بوساطة « أتوبيس » تجره البغال ، يبدأ رحلته من حى الظاهر أو الفجالة ، ويدفع الطالب اشتراكا شهريا قدره ٣٥ قرشا ارتفع فيما بعد الى جنيه ... وويل الطالب الذى يعاقب بالحبس فى آخر النهار ، اذ كان عليه أن يقطع شارع شبرا المظلم الموحش على قدميه ! •

ولم تكن محطة مصر الحالية قد شيدت حتى ذلك التاريخ ،
بل كانت بناء متواضعا متهدما يطل على ميدان ضيق هو ميدان
محطة مصر . وكانت ترعة الاسماعيلية تمتد حتى مكان محطة
كوبرى الليمون اليوم . ويمتد على جانبها شارع عباس (الملكة
نازلى) . وكان شارع شبرا متربا فى الصيف موحلا فى الشتاء
مظلما لا يسلم السائر فيه ليلا من فتك قطاع الطريق .

كان ناظر المدرسة التوفيقية مرييا فرنسيا يسمى
« بلتيه بك » ، وكان كغيره من الفرنسيين فى ذلك العهد ينكر
على الانجليز احتلالهم مصر ولهذا فلا عجب أن كان يبدى
عظفا نحو التلميذ « نجيب محفوظ » لتفوقه فى اللغة الفرنسية ،
وكان اهتمام المدرسة باللغات كبيرا . فمن وسائل هذا الاهتمام
أنها كانت توزع كتب انجليزية وفرنسية على من يحب المطالعة
أثناء الإجازة الصيفية من تلاميذها على أن تعقد امتحان مسابقة
فى اللغات عند افتتاح العام الدراسى وكانت تقيم احتفالا
عظيما بهذه المناسبة يحضره رجال الوزارة وتوزع المكافآت على
التلاميذ المتفوقين .

وكان مدرس اللغة الانجليزية بالمدرسة التوفيقية هو المستر
« فوستر سميث » وكان معلما ممتازا من الطراز القديم ، لا يحمل
مؤهلات جامعية بل كان يعتمد فى عمله على خبرته الطويلة فى
التدريس ، اذ أنه اشتغل دهرا فى مدرسة أولية بانجلترا ، وكان

مع انحناء ظهره بسبب سنه المتقدمة عسكريا في نظامه وقد
لفت نظره الطالب الجديد « نجيب محفوظ » فأرسل في طلبه
مرة ولما حضر همس في أذنه قائلا : « قرأت موضوع انشاءك ،
وصدقنى أننى سوف أسامحك ... ولكن على أن تصدقنى
القول ... من أين نقلت هذا الموضوع » ... ودافع نجيب
محفوظ عن نفسه ، وأعلن للأستاذ أنه هو الذى كتب الموضوع
من بنات أفكاره ، وأنه على استعداد لأن يكتبه ثانية .

وكان أستاذ الرياضيات هو المرحوم محمود بك زكى ،
وكان أكثر التلاميذ تفوقا في هذه المادة هو الطالب
محمد خالد حسنين (باشا) كما كان الطالب محمد حلمى عيسى
(باشا) متفوقا في القسم الفرنسى .

وكان أبرز معلمى المدرسة التوفيقية فى ذلك العهد هو « الشيخ
حامد موسى » ... كان من الأساتذة الأفاضل الذين لم يفهمهم
أهل زمانهم ، اذ جاء قبل العصر الذى عاش فيه تلاميذه على
الأقل ، وكان فى طريقته مجددا مبتكرا ، لأنه كان يرى فى عمله
رسالة عليه أن يؤديها فى أمانة وحرص ، فكان هدفه أن ينجب
طبقة تتذوق الأدب العربى على حقيقته ، فكان يعنى بالاقباسات
من أمهات كتب الأدب ، ويقضى الساعات فى شرحها وتبين نواحي
جمالها ... حتى ينبه الملكة الفنية فى نفوس التلاميذ ... وقد
وجد هذا الشيخ الكريم فى التلميذ « نجيب محفوظ » ما كان

ينشده في تلاميذه من غيرة ومثابة وتفوق في اللغة ، فأشار عليه بتجويد الخط اذ نال في الشهادة الابتدائية درجة ضعيفة فيه كادت أن تؤدي الى رسوبه ، فعكف على تجويده حتى برع فيه ، وكانت موضوعات نجيب الانشائية نماذج يفخر بها أستاذه ... وكان يعقب عليها بتأشيرات لطيفة مثل : « أجدت يا واحد الأدباء » و « في غاية الاتقان » و « عبارة مرضية » و « هكذا والا فلا » و « شيء كنت أنتظره منك » و « قد حقق الله ظني فيك » و « لكل اسم من مسماه نصيب » و « هكذا تكون الكتابة ، لله أنت » و « أجدت كل الاجادة ، ولكن قد يعثر الجواد (اذا أخطأ في كلمة) » . وسوف نعرض في الباب الخاص بقدرات نجيب محفوظ البيانية واحدا من هذه الموضوعات .

وفي المدرسة التوفيقية الثانوية أظهر الفتى الهادئ الدءوب نجيب محفوظ جدا واجتهادا ، فلمع نجمه ، وشجعه ذلك على أن يحاول أن يختصر سنوات الدراسة الثانوية ، وثبت ذلك العزم في نفسه ، أنه حصل على ترتيب الأول بفارق خمس وأربعين درجة أكثر من الثاني !! وهو الطالب القادم الى العاصمة على هؤلاء الذين هم فيها من قبل ، وحدث نجيب محفوظ أحد أساتذته الفرنسيين برغبته ، فسر به ، وشجعه على ذلك ، ثم ان الوزارة أجازت لمن يأنس في نفسه الكفاية من طلبة

السنة قبل النهائية أن يتقدم للكالوريا مباشرة ، وتقدم نجيب محفوظ لهذا الامتحان (١٨٩٨) ، ونال التوفيق ، وكان التاسع عشر في البكالوريا على مستوى القطر المصرى ، هكذا أعلنت النتيجة ، ولكن الأيام تمضى ، ثم يعلن الزمن أن نجيب محفوظ كان أول البكالوريا في ذلك العام ، وذلك حين يأمر على باشا ماهر وزير المعارف بعرض أوراق اجابة أوائل الامتحانات العامة على الجمهور في متحف أقيم لذلك ، وكان هو الآخر منهم ، فيظهر للناس أن خطأ غير مقصود في جمع الدرجات هو الذى تأخر بنجيب محفوظ من مرتبة الأول الى مرتبة التاسع عشر !!

وكان قد تقدم لامتحان البكالوريا في عام ١٨٩٨ ، ٣٤٤ طالبا منهم ٩٣ من منازلهم ، ونجح منهم ٩٨ طالبا ، وكانت الانجليزية هى لغة الاجابة على معظم العلوم ، فلم يكن الطلبة ليجيبوا باللغة العربية الا فى مواد الهندسة والجبر والحساب واللغة العربية بالطبع . وكان امتحان هذه المادة الأخيرة يتكون من سؤال واحد هو : تكلم عن البيت الآتى من النحو والصرف وعلوم البلاغة مع جعله موضوعا للانشاء وهو :

إذا كنت فى عمل شارعا

فمهد اليه سبيل النجاح

وكان من ناجحى هذه السنة من المدرسة التوفيقية الطلبة

يونس صالح ، كامل عثمان غالب ، محمد صالح ، زكريا نامق ،
محمد حلمي عيسى ، زكى مرقص •

والتحق نجيب محفوظ بمدرسة الطب سنة ثمان وتسعين
وثمانمئة وألف (١٨٩٨) ، وهو نفس العام الذى تقرر فيه أن
يعدل من التحول من التعليم باللغة العربية الى التعليم باللغة
الانجليزية (هل يكفى تعليم الطب بالانجليزية فى كليتنا قرنا من
الزمان فتعود الى العربية ان شاء الله عام ١٩٩٨) •

وكانت مدرسة الطب يومئذ فى أسوأ حالاتها ، لم يكن
فيها من الدراسة ما ينصرف الطلاب اليه ، ولهذا فليس غريبا
ما يرويه نجيب محفوظ من أنه استغل عامه الأول فى مدرسة
الطب فى مطالعات روايات ديكنز ، ودوماس ، وهوجو فأتى
على أكثرها •

فى مدرسة الطب :

التحق بمدرسة الطب فى عام ١٨٩٨ من الحاصلين على
شهادة البكالوريا أى من الثمانية والتسعين واحد وعشرون طالبا
(تخرج منهم بعد أربع سنوات ثلاثة عشر) من بينهم الطالب
« نجيب محفوظ » رغم أن عائلته كانت تعارض معارضة شديدة
فى دخوله مدرسة الطب ، اذ أن باب الوظيفة كان مفتوحا أمامه ••
دخل « نجيب » مدرسة الطب فى الوقت الذى كانت هذه
المدرسة العالية تقف فيه فى مفترق الطرق : اذ أنه فى

عام ١٨٩٣ عين لها - للمرة الأولى - وكيل انجليزى هو « الدكتور كيتنج » الذى أصبح فيما بعد ناظرا لها ، ومع حضور هذا الوكيل الانجليزى زحفت السياسة الانجليزية الى هذا المعهد العظيم ... فتحولت هيئة التدريس فى المعهد تدريجيا الى هيئة انجليزية صرفة ... صبغته بصبغة انجليزية فى كل شىء .

كان ناظر مدرسة الطب عندما التحق بها الطالب نجيب محفوظ هو المرحوم الدكتور ابراهيم باشا حسن وكان عالما فاضلا متخصصا فى الامراض الباطنية الا أنه لم يكن له فى ادارة المدرسة صوت مسموع ، وكان الوكيل الدكتور كيتنج يعمل جادا على اقضاء الأساتذة المصريين من وظائف التدريس وتحويلهم الى وزارة المعارف ومصلحة الصحة ، وأخذ يشل نشاط من بقى منهم فكلف على بك حيدر أستاذ الرمد بتدريس أمراض الجلد ، ومنع الجراح شكرى باشا من الاشراف على المستشفى ! .

صحيح أن المستوى العلمى للطب فى مصر فى ذلك الحين قد انخفض كثيرا بسبب آخر هو وقف الارساليات الى الخارج ، وصحيح كذلك أن الدكتور كيتنج قد استقدم الى مصر كثيرا من أفذاذ الأطباء الأوربيين مثل « اليوت سميث » و « فيشر » و « لوس » و « بيتر » - والأخيرين من الألمان - ولكن الغاء اللغة العربية كشرط لا مفر منه للاصلاح

أمر لا يسوغه الا عقل استعماري وكانت نتيجة ذلك أن
قضى على التأليف الطبى العربى الذى بشأره قد ابتدأت فى
عهد محمد على واتسع نطاقه فى عهد اسماعيل . كان كيتينج
بلاشك كما ذكرنا فى كتابنا عن الدكتور على ابراهيم
« امبراطوريا » ، يصلح ولكن لمصلحة الامبراطورية البريطانية ،
ويبذل جهدا صادقا ولكن من أجل مصلحة بلاده ، فاذا نال
بلادنا من ذلك شيء فلا بأس .. ولعل من هذا الشيء الذى
نالتة مصر ، هو ذلك التعليم الذى حظى به على ابراهيم ونجيب
محفوظ ومن أتى بعدهما فى مدرسة طب مصرية مرتبطة
بالامبراطورية الكبرى يومها .

وكان مجموع طلبة مدرسة الطب يومها فى كل سنواتها
نحو من أربعين ، ولما التحق الطالب « نجيب محفوظ »
وزملاؤه ، بالسنة الأولى واجهتهم مشكلة الدراسة باللغة
الانجليزية ، لا لجهلهم بها بل لعدم وصول أساتذة يدرسون بهذه
اللغة بعد تحويل الأساتذة المصريين الى وظائف أخرى ...

انقضى معظم العام دون أن يدرس الطلبة شيئا من التشريح
حتى انصرف الطالب « نجيب محفوظ » الى دراسة أدب اللغة
الانجليزية والفرنسية على سبيل التسلية كما ذكرنا ! ولم تحل
مشكلة التشريح حلا وسطا حتى الشهور الأخيرة من العام
الا بتعيين الدكتور محمد ناشد الذى استطاع التدريس باللغة
الانجليزية مع أنها كانت متوسطة ! .

وفى مدرسة الطب نما جزء كبير من شخصية نجيب محفوظ
العالم الكبير فيما بعد وكان « هدوء طبعه ، ورقة خلقه » ،
واهتمامه وجده هما أبرز الصفات التى عرفها عنه زملاؤه
واللاحقون كما رووا بعد ذلك ، وفى مدرسة الطب عرف نجيب
محفوظ بالطبع زملاء كثيرين شاركوه المهنة بعد ذلك وقد عرف
قدرهم وعرفوا جميعا قدره ، وفى تلك المدرسة تلقى علومه على
يد الأساتذة مادن ، وميلتون ، وسيمرز ، وولسن ، وفيشر ،
وسندويث ، تولر ، ويتر ، ولوس ، وشميت وغيرهم وقد كان
هؤلاء جميعا من أساطين الطب والعلم فى ذلك العهد .

فى مدرسة الطب المصرية :

قضى الطالب « نجيب محفوظ » أربع سنوات ، وكان من
زملائه أحمد حلمى (باشا) وحافظ زكى (بك) ومحمد زكى
(بك) . أما على ابراهيم (باشا) فكان يسبقه بسنة واحدة ...
وكان تفوق نجيب محفوظ فى اللغة الانجليزية خير عون له .
وكان أول فرقته فى امتحانات النقل بين السنوات الدراسية الا فى
السنة الثالثة حين ظن الممتحن الشفهى فى الجراحة أن نجيب
أخطأ فى تشخيصه ولم يكن مخطئا ولكن الممتحن لم يتنبه الى
هذا الا بعد فوات الوقت ، فلم يجد الاعتذار فكان فى هذه
السنة وحدها ثالث الناجحين .

واستمر نجيب محفوظ فى دراسته حتى وصل الى السنة

النهائية • وقبل دخولهم الامتحان النهائى ظهر وباء الكوليرا في يوليو سنة ١٩٠٢ في بلدة « موشا » بمديرية أسيوط فتطوع للعمل ، وعين بالقاهرة لمراقبة القادمين من الصعيد والكشف عليهم • ولكنه لم يرض بهذا المركز مع ما فيه من السلامة وطلب بالراح أن ينقل الى موشا موطن الوباء ليعمل محل طبيب توفى فيها بالكوليرا •

وفي يونية عام ١٩٠٢ عقد امتحان مدرسة الطب وكان أول الناجحين هو الطبيب نجيب محفوظ اذ حصل على أكبر مجموع في الجراحة والأمراض الباطنية ، وكانت لجنة الامتحان مكونة من أساتذة المدرسة ومن عدد آخر من أساتذة الطب البريطانيين •

كان النظام الصحى يومها يقتضى قضاء سنة الامتياز في مستشفى من مستشفيات الأقاليم ، ووقع حظ نجيب محفوظ في مستشفى السويس ، وكانت السويس يومها تمثل بوابة مصر على البلاد (الشرقية) وبخاصة الحجاز حيث يذهب الناس الى الحج ويعودون ، والهند حيث كانت مصر معبرا للاحتلال الانجليزى الى المستعمرة الكبرى في الهند •

وفي السويس استطاع نجيب محفوظ أن يبدأ في تكوين خبرته الاكلينيكية ، كان عليه بحكم وظيفته أن يفحص الركاب شأن أطباء الحجر الصحى ، وفى ذلك الزمن كان المسافرون

بالطبع يحملون الامراض من حيث أتوا ، واستطاع نجيب محفوظ أن يأخذ نفسه - كما روى - بتدوين المشاهدات وسير المرض والعلاج . وهناك في السويس عرف نجيب محفوظ واحدا من علماء البكتريولوجيا ، الأستاذ روفر وكان مديرا للحجر ، وهناك كذلك عرف كروزيل وتوثقت به علاقته ، حتى عمل معه في عيادته الخاصة ، وحل محله في هذه العيادة حتى سافر في أجازته للخارج فنمت فيه منذ مرحلة مبكرة الخبرة بالعمل الحر في مجال الطب . وهى خبرة كانت ولا زالت لازمة ، لا اوضع الطبيب في الحياة الاجتماعية فحسب ، ولكن لخبرته الاكلينيكية في معاملة المرضى أنفسهم .

ومن أصدق العبارات فى تصوير بزوغ نجم نجيب محفوظ فى هذه الفترة المبكرة من شبابه ما يرويه الدكتور سليمان عزمى فىقول : - وفى أواخر سنة ١٩٠٦ أتممت أنا دراستى وعينت طبيبا مساعدا بمستشفى السويس فى نفس الوظيفة التى كان يشغلها محفوظ قبلى ومما استلقت نظرى فى ذلك الحين الذكريات الطيبة التى تركها وتحدث بها الناس والتقدير العظيم الذى قدره به الدكتور كرسويل كرزويل الذى كان رئيسا للمستشفى اذ كان يشيد بذكره فى كل مناسبة . وبعد فترة من الزمان عدت الى كلية الطب فوجدت محفوظا هو هو الشاب المثابر المجد لا فى المستشفى فحسب بل فى عمله الخارجى أيضا حيث شق

نفسه طريقا رفع به سمعة الطبيب المصرى فصارت عيادته الخاصة تغص بالمريضات اللاتي يقصدنه لينلن الشفاء على يديه » .

نزع نجيب محفوظ الى اتخاذ أمراض النساء والولادة تخصصا له ، ومع أنه لم يعلن عن هذا في وضوح جلى ، الا أن هذا الاعلان لم يكن بالشئ ذى الشأن ، ولكن المتتبع لخط حياته فيما بعد ذلك سوف يجد من الوضوح بمكان كيف أن نجيب باشا قد رسم لنفسه هذا الطريق ، وأخذ يعبده لنفسه ، وسوف نرى من هذا في سيرته الدلائل والامارات تتلو بعضها ، ولكننا ينبغي لنا أن نقف معه على سبب هذا الاختيار ، وهو ما لم يكن الرجل يفيض في الحديث عنه ، بل ما قد يكون أقرب الى التجاهل ، ومع هذا فائنا نجد في كلمات زملائه في حفل تكريمه احدى الروايات الهامة منسوبة الى محفوظ نفسه حين يقول (مع تصرف بالاختصار) : - « لما كنت أعمل في مكافحة الكوليرا بالاسكندرية في عام ١٩٠٢ تعرفت بوكيل المستشفى الأميرى ولما توطدت صداقتنا طلبنى كعادته لمصاحبته الى حالة ولادة متعسرة وكانت المريضة شابة من أصل شركسى من عائلة كبيرة معروفة بمدينة الاسكندرية ، وكانت مهمتى أن أقوم باعطاء البنج ، أما الولادة فيتولاها هو مع واحد من مساعديه من أطباء المستشفى وقد حاول كل منهما توليدها بالجفت فلم

تنجح هذه المحاولات ، فاتفقا على عمل التحويل القدمى للجنين لكنها لم يتمكنوا من الوصول الى القدم ، فطلبنا منى أن أبحث عن القدم لأن ذراعى كانت نحيفة ويسهل ادخالها الى باطن الرحم ولكنى تنحيت عن ذلك معتذرا بأنى لم يسبق لى أن حضرت قبل ذلك أية ولادة طبيعية كانت أو متعسرة ، فأعادا الكرة مع المريضة وأخيرا نجحا فى اخراج القدم وتخليص الجسم الى الأكثاف ، ولكن الرأس لم يخرج ، فأخذا يشندان فى الجذب حتى انفصل الجسم عن الرأس الذى بقى داخل الرحم وذهبت جهودهما فى اخراج الرأس أدراج الرياح ، فأشرت عليهما بأن يستدعيا أحد الأطباء الاخصائيين فى الولادة بالمدينة فأعلمانى بأنه لا يوجد بالاسكندرية طبيب واحد مصرى أو أجنبى مختص بالتوليد ، ولم يأت الصباح على هذه البائسة الا وقد وافاها القضاء المحتوم والرأس لا يزال داخل الرحم •

وقد تركت هذه الحالة فى نفسى أثرا عميقا جدا حتى أنى لم أستطع النوم ليلتين متواليتين ولم يهدأ لى بال الا فى الليلة الثالثة التى أخذت فيها على نفسى عهدا أن أكرس حياتى لدراسة الولادة وخدمة المتعسرات فيها •

تخرج نجيب محفوظ ، وقضى سنة الامتياز فى مستشفى السويس ، (هكذا كانت سنة الامتياز تمضى خارج قصر العينى) ، وهناك بدأت تجربة نجيب محفوظ المهنية حين بدأ فى

ممارسة الطب الاكلينيكي معتمدا الى حد كبير على نفسه ،
ومعلوماته ، وبعيدا عن الأساتذة والمراجع .

وهناك أظهر نجيب محفوظ من الجد والمثابرة ما شجع
رئيسة الدكتور كرزويل يعرض عليه تعيينه طبيبا أول بمستشفى
الفيوم ، وهى وظيفة رفيعة القدر يومها ، ولكن نجيب محفوظ
يبدأ فى تنفيذ سياساته نحو اتخاذ النساء والولادة تخصصا ،
فيلج فى الاعتذار عن قبول هذا المركز المرموق ، ويلج عليه
كرزويل ، وكان بينهما ود أتاح لمحفوظ أن يروح له برغبته
الدفينة ، وكان لكرزويل الذى لا نعرف عنه غير هذا الموقف
النبيل مع محفوظ فضل كبير حين أهدى صاحبنا عشرة كتب
فى أمراض النساء والولادة كانت بلا شك هى الينبوع الذى
استقى منه محفوظ معلوماته الأولى فى هذين الفنين ، هذا
بالإضافة الى كتابه الذى كتبه الى السير ينشج مدير
مصلحة الصحة وقتها ، وفيه قال عن نجيب محفوظ :
« اننى مهما أطببت فى كفاءة هذا الشاب وسمو أخلاقه فلن أفيه
حقه وانى أنصح (بادماجه) فى هيئة التدريس بمستشفى قصر
العينى لأنى أتوقع له مستقبلا باهرا فى البحث العلمى » .

وبناء على هذه التوصية من أجنبى على وطنى .. عين
الدكتور نجيب محفوظ طبيبا للتخدير فى مستشفى قصر العينى
ومساعدا ثانيا للدكتور فرنك ملفرن .

وبعد تعيين الدكتور محفوظ في وظيفته الجديدة التي اتخذها تكأة لاشتغاله ببنى الولادة وأمراض النساء تبين له أنه لا يوجد ما يسمى عيادة خارجية للأمراض النسائية وتطوع الدكتور محفوظ بالعمل في هذه العيادة الخارجية من الساعة الثامنة الى التاسعة صباحا قبل الموعد الرسمي للعمل في غرفة العمليات على أن يخصص هذا الوقت لهذا التخصص . فوافق الدكتور كيتنج على افتتاح هذه العيادة ولما اشتد الاقبال عليها اضطر أولو الأمر لتخصيص عشرة أسرة للولادة وأمراض النساء بالقسم الداخلى بالمستشفى ، خمسة منها بإدارة مستر مادن ، وخمسة بإدارة مستر ملتون ، وهما أستاذ الجراحة فى ذلك الوقت وانتدب الدكتور محفوظ (فوق عمله بالتخدير) مساعداهما ووكل اليه القيام بالولادات المتعسرة التى تجرى بالمستشفى .

وكان نجاح هذا القسم ملحوظا سواء فى العيادة الخارجية أو فى القسم الداخلى وزاد عدد الولادات المتعسرة زيادة كبرى ، اذ كان عدد الولادات التى ترسل للمستشفى أكثر بكثير من عدد الأسرة المخصصة فقد اتفق الدكتور محفوظ مع مفتشى الصحة على القيام بها عندهم بلا مقابل ، فكان يذهب كل ليلة تقريبا الى ولادة متعسرة أو أكثر بمنازل المرضى الفقراء وداوم على ذلك مدة عشرين عاما أتيحت له فيها كل أسباب المران والبحث حتى بلغ الذروة فى فنه .

وفي سنة ١٩٠٥ قدم (بمساعدة مستر مادن) تقريراً لإدارة المستشفى عن العمل بالقسم الجديد في خلال سنتين أجريت فيهما ١٦٠ جراحة في السنة ، قام الدكتور محفوظ بأجراء مائة منها انتهت كلها بالشفاء • (وقد نشر هذا التقرير بمجلة للأنست ذائعة الصيت) •

وفي سنة ١٩٠٦ تجاوز عدد المرضى بالعيادة الخارجية أكثر من مائة مريض في اليوم الواحد فتقدم الدكتور محفوظ بتقرير إلى الدكتور كيتنج مبيناً فيه ضرورة افتتاح قسم خاص بأمراض النساء والولادة ومقترحاً أن يعين فيه عالم اختصاصي يقوم هو بمساعدته فوافق كيتنج كما وافق مجلس إدارة المدرسة على ذلك •

وقبل أن ينصرم العام وفي ديسمبر سنة ١٩٠٦ عين الدكتور روى دوين الذي كان مساعداً لمدير مستشفى الروتندا بدبلن رئيساً للقسم الجديد وعين الدكتور محفوظ مساعداً له •

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى تطوع الدكتور دوين في الجيش البريطاني فقام الدكتور • محفوظ بأعباء إدارة قسم أمراض النساء والولادة طوال مدة الحرب على سبيل النيابة عن الأستاذ الغائب •

ولما كان عدد الأسرة لا يزال قليلا فقد اقترح الدكتور محفوظ على ادارة المستشفى (وكان الدكتور كيتنج قد أحيل الى المعاش وعين مكانه المستر ريتشر دز) أن يساعده في التقدم الى مجلس ادارة ملجأ لادى كرومر (وهو مستوصف صغير بنى ملاصقا لقصر العينى وجمعت أمواله بالاكتتاب العام وكان مخصصا للقطاء) على طلب تخصيص هذا الملجأ لقسم أمراض النساء والولادة وأن يبقى الدور العلوى منه مخصصا للقطاء وكان عددهم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة وشاء الله أن تهيأ لهم هذه الموافقة وأنشئ بهذا المبنى قسم أمراض النساء والولادة الجديد وخصص فيه الدور الأرضى للعيادة الخارجية .

وفى سنة ١٩١٩ أقدم الدكتور محفوظ بعد كفاح عنيذ ، على افتتاح قسم للتوليد الخارجى وكان الاعتقاد السائد وقتئذ أن انشاء قسم مثل هذا مصيره الفشل المحقق ، ولكن نجاح هذا القسم كان باهرا ، وقد حفزه على المضى فيه قيام جمعية رعاية الأطفال المصرية بفضل المجهود الصادق الذى بذله الطبيب الشاب الدكتور حافظ عفيفى (رئيس الديوان الملكى فيما بعد) مؤسس الجمعية ورئيسها عقب عودته من دبلن وحصوله على شهادات التخصص فى أمراض النساء والولادة وما شاهده هناك من أساليب وطرق حديثة فى رعاية الأمومة والطفولة فأنشأ مستشفى للولادة ورعاية الاطفال فى الدرب

الأحمر والحق به قسما للتوليد الخارجى ، وأيضا كان النجاح الذى صادف قسم التوليد الخارجى الذى أنشأته جمعية لادى كرومر بالمنشية بالقلعة وعهدت به للدكتور محفوظ بإدارته .

ولما اتضح فيما بعد لمصلحة الصحة العمومية ما أتاه هذا العمل الجليل من الفائدة العظيمة وبعد قيام هذا العمل بعدة سنوات (سنة ١٩٢٧) أسست المصلحة عدة مراكز لرعاية الطفولة والأمومة والتوليد الخارجى فى شتى أنحاء القطر وهى تلك التى نمت فى عهدنا هذا حتى غطت الأحياء والقرى •

كان نجيب محفوظ على قدر كبير من الذكاء بحيث أدرك أنه لا بد من وجود خدمات منتشرة تساعد وتتلقى مساعدة قسم النساء فى قصر العينى ، ومن هنا بدأت فكرة انشاء العيادات العمومية •

وكان أول ما انشئ من عيادات هى عيادة باب البحر ، وجعل خدماتها تقدم للجمهور مجانا ، فلم تكن تأتية فى بادىء الأمر الا الخادومات وسيدات الطبقة الدنيا ، فلما اشتهر أمر العيادة ، وذاع سر نجاحها أقبلت عليها سيدات الطبقة الراقية ، ولا ينسب الدكتور محفوظ نجاحه فى هذه العيادة الى الهمة واليقظة وحدهما « ولكنه يعترف بأنه كان هناك جانب كبير من حسن الحظ » •

ثم كان اهتمامه بمدرسة المولدات والمرضات خير صورة للفهم الصحيح لأهمية توظيف القوى البشرية في عملية التنمية الصحية على نحو ناجح ومؤثر .. وقد اتيح لنجيب محفوظ أن ينفرد - تقريبا - بصياغة مناهج التعليم في هذه المدرسة على نحو ما هيأته له التجارب من قبل ، وتولى نجيب محفوظ بنفسه التدريس في هذه المدرسة بل والأهم من ذلك التأليف لها •

ولعل من نواحي العظمة البارزة في نجيب باشا أنه لم يستنكف أبدا أن يكون أستاذا للممرضات والمولدات ، وكان يتولى هذا الأمر بنفسه ، حتى ان الدكتور ابراهيم شوقي عبر عن ذلك بأنه كان العمود الفقري لمدرسة الممرضات والمولدات بقصر العيني ، وهي المدرسة التي أدت في رأى الدكتور شوقي باشا - خدمات جليلة للبلاد بتخريج طبقة ممتازة من المولدات انتشرت في أنحاء القطر وبثت تعاليمها في جميع أرجائه •

كان محفوظ باشا يدرس التمريض العام ثم فن الولادة لتلميذات المدرسة المذكورة وبقي كذلك أكثر من ثلاثين سنة فتخرج على يديه ما لا يقل عن ألف مولدة أو حكيمة مكتملات التعليم والمران العملى وكان كتاباه في فن التمريض وفن الولادة ولا يزالان هما المرجع المعتمد في دراسات هذين الفنين •

وقد اسهم نجيب محفوظ بحكم شخصيته البارزة في كثير من الجمعيات الوطنية فكان عضوا في المجلس الأعلى لجمعية الهلال الأحمر وكان رئيسا لمجلس ادارة مستشفى الهلال الأحمر لفترة من الزمن ، كما كان عضوا في مجلس ادارة جمعية رعاية الاطفال وفي مجلس ادارة مستشفى شبرا الخيري وفي مجلس ادارة المستشفى القبطى •

وفي صعيد الجمعيات العلمية كان الدكتور نجيب محفوظ الوكيل الأول للجمعية الطبية المصرية لفترة طويلة جدا •• كما كان الرئيس الدائم (مدى الحياة) للجمعية المصرية للولادة وأمراض النساء ، وكذلك كان عضوا في مجلس ادارة جمعية تاريخ العلوم وشعبة تاريخ الطب •

كانت للدكتور نجيب محفوظ اليد الطولى في انشاء المستشفى القبطى وقد شاركه الجهد كل من ابراهيم فهمى المنيأوى باشا ، واسكندر فهمى جرجاوى ، وقد تم لهم انشاء المستشفى من خلال الجمعية الخيرية القبطية التى كان يرأسها جرجس باشا انطون ، وحرصوا على أن تكون للمستشفى الصفة القومية ، وقد خرج المستشفى الى الوجود سنة ستة وعشرين وتسعمائة وألف (١٩٢٦) ، ولا يزال هذا المستشفى الى اليوم يؤدى خدماته كواحد من مستشفيات المؤسسة العلاجية لمحافظة القاهرة •

وقد نجح الدكتور نجيب محفوظ في تحويل ملجأ اللادى كرومر الى مستشفى للولادة ، وكان هذا الملجأ يضم عددا كبيرا من اللقطاء يموت أغلبهم بالالتهاب الرئوى ، وقد نظم الدكتور نجيب محفوظ العمل فى طوابق الملجأ الثلاثة بحيث خصص الدور الأرضى كعيادة خارجية والثانى للولادات الطبيعية والثالث للولادة العسرة .

وكذلك كان الدكتور نجيب محفوظ من أبرز مؤسسى مستشفى الولادة بشبرا ، وعمل به ثلاثين عاما متصلة .

وكان نجيب محفوظ باشا من أبرز المتعاونين مع وزارة الشئون الاجتماعية فى أنشطتها المتعلقة بتنظيم الأسرة ومكافحة الاجهاض ، وقد ألقى عددا من المحاضرات فى ندوات جمعية النساء والولادة بوزارة الصحة .

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية لاقى الدكتور نجيب محفوظ عناء شديدا من جراء تزايد الأعباء الملقاة على عاتقه فى ظل ظروف الحرب القاسية ، وكان عليه أن يتولى توليد زوجات الضباط الانجليز ، ومتابعة أحوالهن قبل الولادة وبعدها ، ومعالجة حالات أمراض النساء التى تلم بهن ، وكان يفعل ذلك كله من دون أجر فى أغلب الأحوال ، وكان الانجليز قد اتخذوا من مستشفى الأنجلو مستشفى خاصا لرعاية سيداتهن .

وبالإضافة الى هذا كان عليه أن يتولى كثيرا من العمليات
فى مستشفى الجيش ، وفى مستشفى قصر العينى ، وفى جناحه
الكبير بالمستشفى القبطى ، ومع أن السن كان قد تقدم به الى
ما بعد الستين فقد كان نجيب محفوظ لا يكل ولا يمل غير عابىء
بصعوبات ظروف العمل مما جعله يصاب ذات مرة بالتيفوس
نتيجة نقص الققازات الجراحية .

ومن أبرز نواحي الإصلاح الاجتماعى التى صاغها الدكتور
نجيب محفوظ ، تجربته فى تشغيل المرأة المصرية فى وظائف
الحكيمات .. وذلك أنه عندما بدأ فى انشاء مراكز توليد
الحوامل فى باب الشعرية وبولاق تحت مسئوليته الشخصية
الخاصة ، استعان بعدد من الفتيات ليشغلن هذه الوظائف التى
كانت تقتضى العمل فى أوقات تمتد تبعا لطبيعة هذه المهنة
الشاقة ، وفى سبيل اقناع المسئولين عن الصحة بأهمية الدور
الذى سوف يلعبه بعد هذا ، عرض أن يتحمل صرف مرتباتهن
من جيبه الخاص ، ومع هذا لم يكن المجتمع يومها ليقنع ،
وجاء أولياء الأمور للدكتور نجيب محفوظ يستنكرون فسألهم
فى استنكار : هل ستأجرون أغوات لمرافقتهن ؟ ... ونجحت
الفكرة ويذكر الدكتور نجيب باشا فى فخر « أن نجاحها فى مصر
سبق نجاحها فى انجلترا بسنة » .

وقد منح الدكتور نجيب محفوظ درجة الأستاذية فى

يناير ١٩٢٩ ، وبقي كذلك حتى احيل الى التقاعد ، ولما كانت درجات الأساتذة الجامعيين وقتها تندرج في درجات الدولة (الكادر العام) فقد رقى الدكتور محفوظ باشا الى درجة مدير عام في أكتوبر ١٩٣٩ ، وهى يومئذ من أرفع درجات السلم الوظيفى الذى يخضع له أساتذة الجامعة كذلك ، وبقي محفوظ باشا في هذه الدرجة الى وقت احواله للتقاعد (١٩٤٢) ولكنه صدر له قرار وزارى بمد خدمته خمس سنوات أخرى (١٩٤٢ - ١٩٤٧) استاذاً في كلية الطب .

وحين احيل للتقاعد كان قد أصبح معه من الأساتذة الوطنيين في قسم أمراض النساء والولادة كل من الدكتور أحمد شفيق باشا والدكتور محمد مجدى باشا والدكتور محمود بك اسماعيل .. وكرمه زميله الدكتور سليمان عزمى فأنشأ له حجرة في مواجهة قاعة اجتماعات مجلس الكلية .

نال الدكتور نجيب محفوظ تقدير بلاده طيلة حياته ، أنعم عليه بنيشان النيل (١٩١٩) وفي ١٩٢٥ نال درجة البكوية من الدرجة الثانية (أى أصبح حسب اصطلاحات ألقاب الشرف المصرية في العهد الملكى : صاحب العزة) وبعدها بخمس سنوات (١٩٣٠) نال البكوية من الدرجة الأولى (أى أصبح حسب اصطلاحات ألقاب الشرف المصرية : حضرة صاحب العزة) ثم نال نجيب محفوظ درجة الباشوية عام ١٩٣٧ في أوائل عهد

الملك فاروق . وأنعم عليه بنیشان المعارف من طبقة الأولى وعلى الصعيد العلمى منح علمنا (درجة) ماجستير الجراحة (الفخرية) من جامعة فؤاد الأول (١٩٣٠) ، ونال جائزة الجمعية المصرية لتاريخ العلوم (١٩٤٨) وجائزة فاروق الأول (جوائز الدولة فيما بعد) (١٩٥١) .

وقد تألفت (١٩٥٠) لجنة برئاسة الدكتور ابراهيم شوقي باشا لانشاء جائزة مالية يطلق عليها اسم الدكتور نجيب محفوظ وجمعت هذه اللجنة للجائزة أكثر من ألفين من الجنيهات ، وأقيم حفل لاعلان تقرير انشاء الجائزة فى فندق سميراميس فى الرابع عشر من يونيو ١٩٥٠) ، والقيت فى هذا الحفل عدة كلمات فى تكريم الرجل وشخصه وعلمه ، وقد نشرت هذه الكلمات بعد ذلك فى كتاب « الدكتور نجيب محفوظ كما نعرفه » .

وفى سنة تسع وخمسين وتسعمائة وألف (١٩٥٩) رشحت ثلاث هيئات الدكتور نجيب محفوظ لنيل جائزة الدولة التقديرية فى العلوم ، وكانت هذه الهيئات هى : الجمعية المصرية لتاريخ العلوم ، والاتحاد العلمى المصرى ، وكلية الطب بجامعة القاهرة ، ونال الدكتور نجيب باشا هذه الجائزة من المرة الأولى فى التصويت فى السنة الأولى لمنحها ، وقد تسلم هذه

الجائزة من الرئيس عبد الناصر ، وألقى يومها خطاب الفائزين
في عيد العلم (١٩٦٠) •

ثم ان الجمعية الطبية المصرية أقامت حفلا لتكريم
نجيب محفوظ رأسه الدكتور سليمان عزمى باشا وتحدث فيه
كما تحدث في حفل سميراميس من قبل عن ذكرياته منذ خلف
نجيب محفوظ في مستشفى السويس ثم تحدث الدكتور
على حسين شعبان عن الأثر العلمى لنجيب محفوظ فى أمراض
النساء والولادة •

وبقى الدكتور نجيب محفوظ باشا محاطا بالتقدير والتبجيل
طيلة حياته وبعد وفاته (١٩٧٢) ، وحين احتفلت نقابة الاطباء
يوم الطبيب المصرى لأول مرة (١٩٧٩) وكرم عدد من رواد
الطب ، انتخب الرئيس السادات الفرصة ، وأهدى قلادة
الجمهورية لاسمى المرحومين الدكتور على باشا ابراهيم والدكتور
نجيب باشا محفوظ •

لقى الدكتور نجيب محفوظ من الجمعيات العلمية البريطانية
تكريما وراء تكريم ، وكان أول ما نال من شهاداتهم التقديرية
هو دبلوم عضوية الملكية للأطباء بلندن وهو ما نعر عنه اليوم
بالاختصار MRCP ، وهى شهادة تمنح للأطباء الباطنيين ، وقد
منحها الدكتور محفوظ باشا عام ١٩٣٢ ، وبعدها بستين منح زمالة
الكلية الملكية للولادة وأمراض النساء وهى تلك الزمالة التى

نعبر منها اختصارا بالحروف F.R.C.O.G وبداها بعام واحد (١٩٣٥) خلا مكان من الأماكن الخمسة للزمالة الفخرية في كلية المولدين وأطباء أمراض الاسنان ، فانتخب الدكتور محفوظ. لشغل هذا المكان بالاجماع .

وبعد هذا بعامين (١٩٣٧) منحته كلية الأطباء الباطنية زمالتها (وهى درجة أرفع من العضوية التى منحها من قبل ١٩٣٢) وهكذا أصبح نجيب محفوظ يحمل لقباً كما حمل من قبل وفى أثناء الحرب العالمية الثانية منح الدكتور نجيب محفوظ تقديرين علميين بريطانيين آخرين هما العضوية الفخرية للجمعية الطبية البريطانية (١٩٤٢) بلندن .

وبعدها بعام (١٩٤٣) منح الزمالة الفخرية لكلية الجراحين الملكية بانجلترا فى نفس الجلسة التى نال فيها رئيس الوزراء البريطانى الأسمى ونستون تشرشل ذات الدرجة ، ولكن ظروف الحرب تحول بينه وبين تسلم الجائزة فى بريطانيا فتقيم كلية الجراحين الملكية بلندن حفلا بالقاهرة لتكريمه وتسليمه البراءة ويحضر لهذا الغرض السير تيلور الوكيل الأول للكلية .

وبعد ما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها منح نجيب محفوظ الزمالة الفخرية لجمعية الطب الملكية (١٩٤٧) هو والسير الكسندر فلنچ مكتشف البنسلين ، وتعد هذه الزمالة أرفع درجات الطب البريطانى على الإطلاق .

وفي ذات العام (١٩٤٧) منح الزمالة الفخرية للجمعية الملكية لأطباء أمراض النساء والولادة بأدبرة •

وفي عام ١٩٥٠ كان نجيب محفوظ واحدا من العلماء الذين وقع عليهم اختيار اذاعة لندن للحديث عنهم وعن حياتهم في سلسلة الأحاديث الاذاعية عن « قادة العلم في التاريخ » وقد تولى الحديث عنه أستاذ النساء والتوليد بجامعة لندن البروفسور نكسون •

وفي كل تلك المناسبات كانت تقام لنجيب محفوظ باشا الاحتفالات وتلقى الكلمات التي كونت مادة قيمة من تقدير العلماء والزملاء للرجل العظيم •

وعلى الصعيد الدولي خارج بريطانيا نال الدكتور نجيب محفوظ زمالة أكاديمية الطب بنيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية •

وهكذا لقي الدكتور محفوظ كثيرا من التقدير الدولي في محيط عمله ، ولا بد أن نذكر ان اتصاله بالامبراطورية البريطانية وجمعيتها العلمية لأمراض النساء والولادة كان له أكبر الفضل في ذلك ، وقد ذكر الدكتور محفوظ انه منذ القائه محاضراته عن تمزق الرحم سنة اثنين وأربعين في افتتاح المؤتمر المئوي •• لم تنقطع عنه الطلبات لالقاء محاضرات في الخارج •• وقد

انتدب الدكتور محفوظ أكثر من عشرين مرة لالقاء محاضرات الدراسات العليا في لندن وأكسفورد وأدنبرة وجنيف ولوزان . وكان في كل هذا حريصا على الاتقان ، واضفاء الاحترام على بحوثه وشخصه ، وقد طور من محاضراته وأعد معها الأفلام السينمائية الملونة الناطقة التي تشرح العمليات التي ابتكرها .

والى جانب الزيارات التي ذهب فيها نجيب محفوظ الى بريطانيا يتسلم الشهادات الفخرية التي منحها ، فقد قام بعدة زيارات علمية هامة .

أولها حين دعى في (أغسطس ١٩٣٢) ليفتح محاضرات النساء والولادة في المؤتمر المئوي للجمعية الطبية البريطانية بمحاضرته عن تمزق الرحم وقت الولادة وقد عقب رئيس ذلك المؤتمر على محاضرته بقوله « ان البحث الذي ألقاه علينا محفوظ اليوم جدير بأن يعدل معلوماتنا عن تمزق الرحم ويقلبها رأسا على عقب ، وأرى أنه مصيب في كل ما أبداه ، وجدير بقيادة الرأي في فن الولادة أن يتولوا المناقشة في هذا الموضوع الهام » .

ثم قام بعده السير ماكلين والسير هربرت سبنسر والسيدة لويز ماكلوري وغيرهم وأيدوا الرئيس في قوله واتهزوا هذه الفرصة فضاعفوا الشاء الوافر على كلية الطب المصرية وعلى قادة

التعليم فيها • ولعل هذه الزيارة كانت فاتحة عهد نجيب محفوظ
بالمجتمع الدولي اذ أعطته تقديرا خاصا كما قرر هو بنفسه
في موضع سابق ، وقد اتدب أكثر من عشرين مرة لالقاء
محاضرات على طلبة الدراسات العليا في لندن وأكسفورد
وأدنبرة وجنيف ولوزان •

وفي عام سبعة وثلاثين (١٩٣٧) ألقى نجيب محفوظ
سلسلة من المحاضرات في كلية الدراسات العليا لأمراض النساء
والولادة بجامعة لندن ، وهى المحاضرات التى قال عنها عميد
الكلية يومها انها خير ما ألقى فى الكلية •

وفي عام ستة وخمسين (١٩٥٦) ألقى عالمنا محاضرة
فلتشرشو التذكارية لذلك العام فى الكلية الملكية لأمراض النساء
والولادة بلندن •

وبعد عامين (١٩٥٨) ألقى محاضرة تذكارية فى كلية طب
لندن شرح فيها ثلاث جراحات من ابتكاره وأعقبها بأفلام
سينمائية ملونة عن هذه العمليات •

على أن علاقة نجيب محفوظ بالامبراطورية البريطانية ،
لا ينبغي أن تترك هكذا يتلمس القارىء فى ثنايا الكتاب أن
نجيب محفوظ كان صديقهم ، وأنه ولد امرأة السفير ثلاث مرات ،
وأنه كان يعالج زوجات ضباطهم وجنودهم فى الحرب العالمية
مجانا ، وأنه كان يحظى بتقدير الأوساط العلمية والطبية هناك ،

وأنه منح الزمالة فالزمالة ، فيظن ما قد يظن من أن الرجل كان في أحضان هؤلاء .. انما ينبغي على الضمير الحي أن يقود القلم الى تسجيل الحقيقة في أمر هذا الموقف ، من أن نجيب محفوظ كان رجلا وطنيا ، وأنه كان له من المواقف في صدر شبابه ، مع الانجليز ، ما جعل أحد كبار رجالهم يقدر موقفه الوطنى ويقول له : لو تصرف كل مصرى في اختصاصه ، كما تصرفت أنت لما بقى في بريطانيا مسوغ للبقاء في مصر أربعاً وعشرين ساعة .

هل لنا بعد هذا أن نتعرف على شخص نجيب محفوظ وخلق وحياته الاجتماعية أما عن خلقه فقد كان طويل القامة ، ضامر اليدين ، في قسامته رحمة ، وفي عينيه ذكاء ، وعلى شفثيه ابتسامة ألفها وألفته حتى لا يفترقان ، في صوته حنان ورقة ، ورحمة وانسانية ، وكان يؤمن أن حياته تتجدد كل يوم وهو يرى طفلا وليدا يصرخ في يده ، وكانت أسعد أوقاته وهو يمر على مريضاته في المستشفى القبطى .

تزوج الدكتور نجيب محفوظ زوجته السيدة فائقة وكان عمرها يومئذ خمسة عشر عاما وكانت للدكتور نجيب محفوظ ثلاث بنات هن السيدات المرحومة ايزيس وقد تزوجت الأستاذ حلمى مكرم عبيد والمرحومة روية والسيدة سميرة حرم الأستاذ ماهر أبادير يوسف . . . واتيح للدكتور محفوظ أن يرى أحفاده ، وأن يربى بعضهم ، وأن يكون له من هؤلاء الأحفاد بعض الأطباء

الذين يشاركونه العمل في حجرات العمليات ، كأنما هو تعويض من الله عن فقد الابن ، وقد كان للدكتور نجيب محفوظ من الأحفاد ثمانية وثلاث ، وكان من أحفاده الأطباء في حياته طبيباً ساعده في عملياته . هذا وقد توفيت زوجته في حياته ، وعاش نجيب محفوظ متمتعاً بحنان بناته ، حتى توفي عام اثنين وسبعين وتسعمائة وألف (١٩٧٢) •

وقد عمر الدكتور نجيب محفوظ كثيراً ، وقد يكون أكثر أطباء عصره امتداد عمر ، وقد تمتع طوال هذا العمر بصحة جيدة ، ولم يكن الدكتور نجيب محفوظ حفيماً (بطول) عمره ، وان كان سعيداً بذلك وكان يتساءل : لماذا يريد الناس أن يطيلوا أعمارهم ؟ « أنا شخصياً أعتقد أن عمر الإنسان لا يحسب بالسنوات بل بقيمة العمل المنتج الذي أداه للإنسانية » •

الباب الثانى

شخصية نجيب محفوظ

كان العمل هو السبيل الأول بل الأوحد لبناء المجد في رأى الدكتور نجيب محفوظ ، وفي تجربته من قبل رأيه ، ولهذا نجده في حديثه الى الشباب يركز على هذه النقطة « وعليهم أن يعملوا جاهدين ، ولا يهينوا في سلوك الطريق المستقيم مهما يلقوا من مشقة وعنت ، وليقاوموا كل ما يصادفهم من المغريات ومزلق الاخلاق »

آمن الدكتور نجيب محفوظ بقيمة العمل الهادىء ، ومع أنه لم يكن بعيدا عن الأضواء بعد الرهبان ، الا أنها كانت قرية منه ، ولعل مرد ذلك كان الى ايمانه الشديد « أن النجاح القائم على الشهرة الزائفة والتهريج المصنوع نجاح كاذب لا ترضى به النفوس الكريمة » •

نعم كانت للدكتور نجيب محفوظ نفس كريمة أبت عليه مرارا أن يستغل نجاحاته المثالية ، أو التقدير العالمى المتكرر أو جراحاته المبتكرة أو مؤلفاته الضافية أو أطلسه العظيم أو متحفه الأعظم فى تصعيد المواقف الرنانة واحراز الشهرة على السنة الجمهور ، ولقد كان فى حياة الدكتور نجيب محفوظ فرص

لو وزعت على ثلاثين من أطباء الجيل التالى ليحققوا بها العبقريّة
على ألسنة الجمهور لكفاهم ، ولكن ما كفى نجيب محفوظ
وأرضى نفسه الكريمة أنه كان على ألسنة الناس جميعا خير
طبيب اكلينكى ، وكان على ألسنة العلماء والاطباء والتلامذة
والزملاء فى العالم أجمع ما كان من قدرة علمية فائقة ، وتاريخ
بحث وإبتكار مشرف •

وهذه المقدرة التى أوتيها نفس نجيب محفوظ بالرضا
بهذين المجدين على هذا النحو المنفصل هى بلاشك قدرة لا تتأتى
الا للنفوس الكريمة •

كان عالمنا الكبير أبعد ما يكون عن الغرور لا عن خلق
وتربية وكرم نفس فحسب لكنه مع ذلك ابتعاد محسوب عقلانيا
 واجتماعيا وعباراته فى ذلك حين يتحدث الى الجيل الجديد أبلغ
ما تكون فى التعبير عن هذا المعنى •

اكتمال الشخصية :

على أن صفة الاكتمال اكتمال الشخصية فى شخص هذا
العالم كانت من الوضوح الشديد بحيث لم تخف على معاصريه
ولا على غيرهم ، ولم يكن من الصعب اكتشافها لعارفيه ولا على
غيرهم كذلك ، وقد عبر عن هذه الصفة بعبارات رائعة
الدكتور سرور بك حين وصف الكمال فى مجموعة نماذج متحف

محفوظ باشا ثم قال في وصفها « وقد بدأت كاملة واستمرت كاملة وستبقى كاملة طول حياته الطويلة العامرة . وهذا مثل نادر جدا لبقاء قوة الفكرة وبقاء قوة تنفيذها حتى اتمام المراد وبلوغ الهدف .

وهذا البقاء للفكرة وللتنفيذ حتى النهاية من مظاهر (الدماغ) كامل التكوين ، ممتاز الصفات ، وهذا هو التفسير الخلقى لوصول نجيب محفوظ حد الكمال في كل مظاهر حياة الرجل العالم العامل ، فهو الابن الكامل ، والتلميذ الكامل ، والطبيب الكامل ، ثم الجراح الكامل ، والزميل الكامل ، والباحث الكامل ، والمضيف الكامل ، والجلسي الكامل ، والأديب الكامل ، وهو أيضا اذا دعا الداعي الخصم الكامل . وأقر كل هذا عن خبرة شخصية طويلة مستمرة » .

الاستقامة

وقد عاش حياته مستقيما ، وقد يكون في الامكان ارجاع الاستقامة عند أمثاله الى أنه لم يكن عنده وقت لغير الاستقامة ، وقد يكون هذا صحيحا ، ولكن الذي لا يقل عنه صحة ، أن فرص الطريق البديل للاستقامة في مثل حالته كانت موجودة . وكانت مغرية ، بل ربما كانت دافعة بقوة الى هذا الطريق مع سهولتها ، وصعوبة الابتعاد عنها (!!) واذن فلا بد من البحث عن أساس خلقى متين كان وراء حفاظ الرجل على نفسه في

السبيل السوى ، « والقارىء لسفر ترييته لا يتعجب من ذلك » ،
ويكفى هنا أن نستمع معه الى قول والدته التى كانت لا تفتأ
تردده على مسامعه « اياك يا نجيب حين تكبر أن تمشى فى الطريق
المعوج .. (وحاسب) من الهفوة الأولى واعلم بأن الفارق بين
الطريق المستقيم والطريق الاعوج شعرة لا تكاد ترى فى أول
الأمر ، ومع التماذى فى الطريق الاعوج تجد نفسك قد سقطت
السقطة التى لا تقوم منها » .. كانت هذه الأقوال قد أصبحت
جزءاً من كيانه الاخلاقى ، ولكنه مع ذلك يبحث لنفسه بنفسه
عن آثار السلوك السوى فى الحياة الاجتماعية فينتهى الى قوله
« ولا أرانى أغلو حين أقول باجمال انى حين أتبع من زلت بهم
القدم فى سلوكهم الاجتماعى والاخلاقى ، أجد أن كثيراً منهم
خاب مسعاه ، وأن الحيدة عن الطريق القويم تركت فى حياتهم
أسوأ الأثر ، فإن من لم يخفق منهم كل الاخفاق ، تخلف عن
ركب الطبيعة ، ولم يبلغ قمة المجد » .

امانة الاعراض :

ولا يجد الدكتور نجيب محفوظ حرجاً أن يخصص من
كتابه « حياة طبيب » فقرات طوال أقرب الى الصراحة منها
الى التحفظ ، ولكنها مع ذلك لا تجرح المجروحين « أصلاً » ،
يروى فيها كيف ملك قياد نفسه ، وأخذها بالحزم ، وكيف
تخيل بشاعة الجرم الخلقى الذى يقترفه طبيب استؤمن على

الأعراض ، وأخلد اليه الناس بالثقة ... ثم يقول : « والطبيب الذى يخون أمانة الأعراض لابد من أن يفتضح أمره وتسوء سمعته ويتحاشاه الناس ، فلا خفى الا ويظهر ، ولا مكنون الا ويستعلن » •

المواظبة :

ومن أهم العوامل التى ساعدت عالمنا الجليل على النجاح العظيم الذى أحرزه فى عمله وحياته ان كان من أشد الناس الذين يعملون على تطبيق الأثر « لا تؤجل عمل اليوم الى الغد » وكان نجيب محفوظ يأخذ نفسه بهذا الخلق بشدة ، ويأخذ به من حوله ، حتى ولو كلفه ذلك راحته ووقته وأشياء أخرى ، وقد ذكر فى كتابه قصة السيدة التى جاءت له ليلة سفره الى أوروبا . وكانت تلزمها جراحة ناسور بولى ، وكان فى وسعه أن يتركها فى المستشفى حتى يعود وبخاصة أنه قد نظم مواعيده فى سفره بالساعة واليوم ، ولكن الواجب لم يتح لنجيب أن يلجأ الى مثل هذا الحل الذى كان فيه نوع من التأجيل •

قيمة الوقت :

وكان هذا الخلق فيه فى دراسته ، وهو الذى اختصر سنوات دراسته الثانوية الى ثلاث بدلا من خمس ، وكان يأخذ به زملاؤه ، كانوا فى السنة الثانية ولم يبق الا أشهر على الامتحان

وذهب نجيب لزيارة ثلاثة من زملائه فوجدهم يلعبون النرد ، فدهش ، فأخبروه أنهم قرروا عدم دخول الامتحان لانهم لم يتموا التشريح بعد ، فعرض عليهم أن يقوم بتشريح الجثة كاملة لهم في ثلاثة أسابيع وأخذ يصطحبهم الى المدرسة فيقضون فيها الليل بالاضافة الى ما يتيسر من النهار حتى استطاعوا أن يتموا التشريح ، وحدث هذا في السنة الثالثة عندما وجد خمسة من زملائه قد اعتزموا تأجيل الجراحة ، فنهاهم وعرض عليهم أن يلخص لهم دروس الجراحة كاملة فان راقهم دخول الامتحان بعد ذلك فعلوا ، « وكنت أذهب معهم الى احدى الحجر المعدة لنوم الطلاب ، فنضع سريرا وسط الحجرة وحوله خمسة كراسي ، واضطجع أنا على وسادة السرير وأضع على عيني رباطا حتى لا يشغلني النظر ، فاذا أجلس الرفاق حولي . شرعت ألقى دروس الجراحة ساعتين في الصباح ومثلها بعد الظهر ، ودام ذلك أسبوعين ، ودخلنا الامتحان . فنحننا جميعا » .

هكذا كان نجيب الطالب أبعد ما يكون عن الانانية ، بل أقرب ما يكون الى الحرص على نجاة زملائه معه .

التواضع :

تمتع الدكتور نجيب محفوظ بخلق رفيع ، كان أبرز ما فيه التواضع ، وكثيرا ما يكون التواضع تمثيلا ، وكثيرا ما يكون هروبا ، وكثيرا ما يكون طمعا ، ولكن تواضع نجيب محفوظ

كان تعبيراً صادقاً عن ذلك الشعور الذى يجتاح العلماء الذين هم فى الحقيقة طلاب علم ، يحسون كلما ازداد علمهم بازدياد ما لا يعلمون ، فلا يزداد عندهم الاعتزاز بما علموا أو عملوا . وانما يزداد عندهم التواضع ، وكلما ازدادوا تواضعاً ازدادوا ارتفاعاً فى أعين الناس وفى نظر التاريخ .

لا تشغله الطوارئ عن البحث الهادئ :

ثم كان فيه خلق المواظبة على العمل ، المواظبة التى لا نعرف كما قلت منذ فقرتين تأجيل عمل اليوم الى الغد ، ولا عمل الساعة الى التى تليها . ومع أن طبيعة عمل طبيب النساء والولادة تقتضى أن يكون دائماً على أهبة الاستعداد ، فقد كان نجيب محفوظ يستطيع أن يمارس مع هذا أدواراً من حياة العلم الهادئ كالدرس والبحث وصياغة نتائج بحوثه والتأليف والتأريخ للتعليم الطبى الحديث والطب النسوى القديم .

روح الاتقان :

وكانت فى نجيب محفوظ قبل كل ذلك روح الاتقان ، وقد لا نستطيع القول بأنه كان أمهر الناس ولا أذكاهم ولا أسرعهم تصرفاً ، ولكنك تستطيع أن تقول أنه كان من أكثر الناس اتقاناً لعمله ، ولهذا فانه استطاع أن يطور عدداً لا بأس به من التكنيكات فى أمراض النساء والولادة بفضل اتقانه فى عمليات

متكررة لسنوات طوال ، فقد أدخل في عام (١٩٠٨) بعض التعديلات والتحسينات على عملية الكسندر آدامز لتقصير الأربطة المبرومة وهى العملية التى ترمى الى علاج حالة انثناء الرحم الى الوراء ، كما سجل أيضا الاخطاء الفنية فى عملية لوسن تيت ، وابتكر جراحة لاصلاح هذه الاخطاء . وله فى هذا الصدد جملة جميلة معبرة : « ولى كلمة أقولها للذين وصلوا بجهدهم الى ما صبووا اليه من منزلة عالية ، تلك هى أن يحذروا الغرور الذى يفسد عليهم ما أصابوه من فوز ، فما من صفة يتعرض صاحبها للمقت أدهى من صفة الغرور » .

سلسلة من النضال :

لم تكن ظروف حياة نجيب محفوظ بالظروف المثالية ، وانما اعتورتها فى أغلب أحيائها ظروف صعبة ، ولم يكن عالمنا مستاء من تلك الظروف الصعبة التى أحاطت به فى حياته ، بل كان سعيدا بهذا الذى آتاه به الله .

« وانى لأجاهر بأن حياتى كلها كانت بعد وفاة أبى سلسلة نضال .. ولم يكن ذلك شرا محضاً بل لقد كان له أجمل الأثر فى تكوين خلقى ، وترويضى على مجابهة الأرزاء واحتمال الأعباء ، وقد كافأنى المولى » .

ناب الغيبة عن نفسه :

على أن الدكتور نجيب محفوظ مع هذا كان حريصا

على الصورة التى تتكون عند الناس عنه ، صحيح أنه لم يكن يسعى الى فرض أخباره وانجازاته ، ولكنه كان لا يرضى أن ينشر عنه ما قد لا يتفق مع طباعه أو آرائه ، وخاصة اذا كان مما يجرح شعور أبناء الوطن العاملين • وفى أخريات حياته (يونيو ١٩٦٦) نشرت احدى الصحف أن السيدة زوجته أمنت على معظم من الفرو النادر لمدة عشرين سنة فى شركة القاهرة للتأمين بمبلغ مائتين وألف من الجنيهات • وفى اليوم التالى كانت الصحف تنشر تكذيب النبأ ، وتعتذر الصحيفة التى نشرت الخبر للدكتور نجيب محفوظ !!

المثل الأعلى والروحانيات :

وكان فى خلقه شئ من السمو الى المثل الأعلى فى كل تصرف من تصرفاته ، وقد رسم لنفسه صورة هذا المثل الأعلى ، ولكن ذلك لم يمنعه أن يستفيد ذات مرة من عبارة شعبية بليغة (دعت له بها احدى مريضاته) فقالت « ربنا يجعل فى وشك جوهرة ، وفى فمك سكرة » قال الدكتور محفوظ : فسرتنى هذه (الدعوة) وأغرورقت عيني بالدموع وحرصت طول حياتى على أن يكون وجهى طلقا ولسانى حلوا فى مخاطبة الناس تحقيقا لدعوة تلك السيدة المسكينة التى عبرت بدعوتها تلك عن شعور الرضا وعرفان الجميل •

هكذا كانت الروحانيات تأخذ مكانا مرموقا فى تكوين

تفكيره الديوى ، ومن ذلك أنه ظل يحتفظ بساعة والدته
وسلسلتها الذهبية حتى آخر أيام حياته •

حب الجمهور :

تمتع نجيب محفوظ بحب وطنى عميق ، وكيف لا وهو
رجل أنقذ كثيرا من سيدات هذا الوطن ، خرج كثير من أطفاله
على يديه الى الحياة ، وانتشرت تسمية كثيرين من المواليد على
اسمه ، لا فرق بين المسلمين والمسيحيين فى هذا ، ولعل من أشهر
المسلمين الذين يحملون اسمه : كاتبنا العظيم الأستاذ
نجيب محفوظ •

القُدوة :

على أن الأعرق من مجرد التسمى باسمه هو اتخاذ
مثلا أعلى ، وقد حدث هذا كثيرا ، ولعل كثيرين من اطباء
النساء يذكرون أن أملهم أن يكونوا مثل نجيب محفوظ ،
ولعل من ألطف القصص قصة الدكتور مجدى باشا طبيب
النساء نفسه ، وهو يروى لنا ذلك فيقول :

« ترجع أول معرفتى به الى أكثر من ثلاثين سنة عندما
حضر لمنزلنا مع اثنين من مساعديه ليجرى جراحة لوالدتى وكانت
حالتها تنذر بالخطر فشفيت على يديه وكنت متعلقا بها تعلقا
شديدا فطفح قلبى بحبه وعرفان جميله وآليت على نفسى أن

أنهجه نهجه اذ تمثلت فيه رجل آمالي ، ولم أكن لأعلم وقتها ان هذه ليست سوى أولى أياديه على وأنه سوف يطوق عنقي بمعروف بعد معروف وجميل فوق جميل » •

« تتلمذت بعد ذلك بعشر سنوات على محفوظ باشا بكلية الطب وكنت أجد شغفا عظيما في حضور دروسه العلمية والعملية وأستعذب طريقتة في الشرح والتفسير الى أن بدأت صلتى العملية الوثيقة به عندما ذهبت في أوائل سنة ١٩٢٨ لأشكره على انتخابي نائبا ومسجلا لقسم الولادة وأمراض النساء بقصر العينى فانه مع كثرة مشاغله في تلك الساعة استقبلنى في الحال وغمرنى بعطفه وتشجيعه » •

السلام الداخلى :

كان من أسرار نجاح نجيب محفوظ بلاشك ، ذلك السلام الذى كان بينه وبين نفسه أولا وثانيا ، ثم بينه وبين الناس أولا وثانيا أيضا ، ثم بين الناس الذين من حوله بعضهم وبعض ، نجح بلاشك فى أن يجعل المحيطين به وقد شعروا أنهم عنده ومن حوله فى مكانة لا تدفع ولا تبعث أولا على الالتفاف من حوله فتجدهم كلهم يسعون الى معاوته وتأدية ما يطلبه منهم بكل سرور واغبطاط •

وكان يقال عن نجيب محفوظ انه شخص لا يمكن أن يعاديه أحد ، ولعله أبرز مثل لهذا الصنف من الناس ، الذين يكون

لهم من مقومات شخصياتهم العاملة القوية المحبة للحق مبررات كثيرة للعداءات تتلقاها من الناس ، ولكنهم مع ذلك يستطيعون بفضل هدوئهم ، وعفة لسانهم ، واغضائهم عن ذكر مناقبهم الشخصية ، ومثالب غيرهم (حتى لو كان ذكرها ضروريا للمصلحة العامة) أن يحققوا قدرا من اجتناب العداوات يصعب منه أن تسجل عليهم عداوات بارزة ، ومع هذا فان هذا الخلق لا ينبغي أن يكون من الاخلاق العليا التى يفنى الانسان فى سبيل تحقيقها ، انما محله فى الواقع أن يكون بين ما يحرص عليه الانسان ما استطاع بعد حرصه على قيم الحق والخير والجمال .. قد يكون لنا بالتأكيد أن نفخر لنجيب محفوظ بأنه كان ولا يمكن أن يعاديه أحد ، غير أنه لا يمكننا أن نفخر له أو به اذا كان كل همه فى حياته أن يكون كذلك فحسب !!

الأصول والفروع :

اعتز الدكتور نجيب محفوظ بأصوله كما اعتز بأسرته ، وبادلتة أسرته وفروعه اعتزازا باعزاز ، وقد نقل لنا فى كتابه من حديث الجبرتى عن سلاله أسرته ، واستشهد بعبارات صديقه وديع فرج فى الحديث عن النشاط الخيرى الذى قادتة زوجته فى جميعه صديقات الكتاب المقدس التى أنشأتها عام تسعة وثلاثين ، وأنشأت من خلالها ست مدارس فى منشية الصدر للبنات ، وفى حدائق القبة للبنين ، وفى الوايلي ، وفى دير الملاك وفى المليحة :

وفى حلمية الزيتون ، هذا بالإضافة الى أربع مدارس مماثلة فى الأقاليم ، وما تلا ذلك من انشاء « مؤسسة فائقة محفوظ الصناعية » التى تضم ورشا للبنين يمارسون فيها التدريب المهنى على النجارة والطباعة والسجاد والآلة الكاتبة ، وورشاً للبنات يمارسن فيها التفصيل والخياطة ، والتريكو والتطريز ، والمنتجات الزراعية والصناعية والسجاد وقد بلغت تكاليف مباني هذه المؤسسة تسعة آلاف من الجنيهات ، وبلغت تكاليف معداتها عشرة آلاف .. وهكذا لم تكن السيدة الا صورة من زوجها ، عضوا عاملا نشطا فى الكيان الاجتماعى للمجتمع الذى عاشاه فى وطنهما ، من دون انفصال ، ولا تباعد . وكانت واثراهما من زوجات كبار أطباء ذلك العهد يقدن جميعا مشروعات خيرية نشطة مبرأة عن المفاصد متنافسة ومن دون أن تحس فيها روح ما !

وكذلك كان الحال مع نجله سامى الذى توفى فى شبابه ، فقد كان من المبرزين فى نشاط الشباب فى أوائل الثلاثينات ، مع مشروع القرش ، وكان نجيب محفوظ يحيل الصحفيين على زميلى ابنه الأستاذين على ومصطفى أمين ليقصا عليهما طرفا من نشاط ذلك الفتى الذى فارق الحياة فى ريعان شبابه !

الادارى :

لم ينجح الدكتور نجيب محفوظ أباشا فى أن يكون واحدا

من أولئك الاداريين القادة ، ولم يكن هذا لنقص في قدرات العالم الجليل على النظام أو التنظيم وانما لنقص على الانتظام مع من لا نظام لهم ، فقد عمل الدكتور نجيب محفوظ وكيلا بكلية الطب في عهد الدكتور على باشا ابراهيم طيلة عشر سنوات كان فيها خير مثال « كئائب للعميد » لا « للوكيل » فحسب ، ولم يكن الدكتور نجيب محفوظ بالطبع يعاني من المشكلات العميقة التي تعودنا عليها في مسائل الادارة في مصر ، فقد كان الدكتور على باشا ابراهيم بالطبع يكفيه كل ذلك بما أوتى من قدرة فذة في شخصيته على كبح جماح أهل السياسة . والتدخلات التنفيذية في أمور العلم بشتى الوسائل ، وهكذا كانت أمام الدكتور نجيب محفوظ الفرصة للعمل الهادئ المستنير في دعم صروح قصر العيني مدرسة ودراسة ومستشفى وعلاجاً ، على أن الأمر لم يكن هكذا دائماً مع الدكتور نجيب محفوظ فقد كان عضواً بمجلس الجامعة ، ولكنه لم يستطع أن يمضى في هذه العضوية بعد بعض المواقف التي وجد نفسه فيها عاجزاً عن « إيقاف الأمور أن تتجاوز ما هو عدلاً أو حقاً » ، فاستقال ، هكذا روى « لأسباب يطول شرحها ، وهى لا تتعدى ما كنا نشكوه من ألوان التدخل ، واقحام الرغبات الشخصية ، والخضوع للاعتبارات التى تجانب العدل والانصاف » ، ومع هذا فقد نجحت مقاومته في كثير من الأحيان ومن ذلك ما رواه هو نفسه من انه اعترض ذات مرة على تعيين أستاذ مساعد لأمراض

النساء والولادة في قصر العيني ، واشتد في المعارضة ، وقدم استقالته وكذلك فعل الأستاذان دوين وشفيق باشا ، وتضامن معهم البروفسور هنري وسحبت الحكومة قرارها !!

الوسائل الأخرى :

ومع هذا فلم يكن الدكتور نجيب محفوظ بما أوتي من مكانة اجتماعية مرموقة يعدم الوسائل الأخرى التي كان يستطيع بها أن يصحح مما يرى فيه الجور على التقاليد الجامعية الأصيلة ، ومن ذلك ما روى هو من أن أحد رؤساء الوزراء السابقين جومل في تعيين ابنه في مركز علمي في الكلية يفوق المركز الذي عين فيه أوائل دفعته ، لا في المكانة فحسب ، ولكن في أنه لا ينبغي الوصول اليه قبل دراسة ثلاث سنوات أخرى على نحو منهجي ، وكان أولئك الذين عينوه يريدون ارضاء صاحب الدولة فحسب ، وذهب نجيب محفوظ بنفسه الى صاحب الدولة الذي اقتنع بصدق محفوظ وسحب القرار •

ابتعاد لا بعد :

واذن فقد كان نجيب محفوظ من أولئك العلماء الذين يميلون الى العمل ولكن في هدوء ، والذين يسعون بعملهم الى المجد ، ولكنهم لا يلهثون وراءه ومثل هؤلاء هم الزاد الذي يبقى لكل أمة تستطيع أن ترشد أبنائها الصغار اليه في كل وقت • وفي كل محنة بالذات •

على أن مسألة ابتعاد نجيب محفوظ عن مناصب الدولة العليا ينبغي لها أن تلقى منا مزيدا من الضوء يبدد الشكوك التي قد تنشأ في ظلام تجاوز الأسئلة الى اجابات عن أسئلة أخرى ويكفيها في هذا المقال أن ننقل عن الدكتور محمود فاضل سليم (من كتاب نجيب محفوظ - كما نعرفه) ما رواه في قوله : ولا نقشى سرا اذا قلنا لكم ان مساعي جمة ومجهودات متوالية بذلت لحمله على قبول منصب من أرفع مناصب الدولة ولكنه نأى بنفسه عن كل شيء الا العلم - واستمر خادما لبلاده وأهلها • بل خادما للانسانية جميعا وانه الرجل العالم بحق ، لم يعمل لطائفة دون أخرى ولم يميز فريقا على فريق مما حمل أبناء مصر وغير أبناء مصر على ثقتهم به وتقديرهم له » •

وكان في نجيب محفوظ ذلك الخلق ، الذي يهيم من الواقع ظروفًا مواتية لتحقيق طموحاته ، قد يكون ذلك هو العمل الهادئ المتخفي من أجل الهدف ، وقد يكون هو العمل السامي رغم الصعوبات وقد يكون فيما بين ذلك ، فيما بين المثالية والتقية ، ولكن الذي لا شك فيه أن نجيب محفوظ نجح في أن يصوغ حياته مستعينا بما صادفته حياته به •

حتى سنتي التخدير اللتين اضطر نجيب محفوظ الى قضائهما ، عمل فيهما بجهد واجتهاد ، وتعلم الكثير وأتقن

التخدير ، أو استطاع أن ينتفع بهذه الخبرة فيما بعد ، فكان
يخدر نفسه ، وحتى في بحوثه فانك تجد روحا كنتك الروح
التي نجدها اليوم في البحوث التي يكون أساتذة التخدير
مشاركين فيها !!

وهكذا ترى أن الاقدار حين تعارض آمال الانسان فهي
لا تقضى عليها ، وقد لا يكون ذلك الا خطوة على طريق الآمال
نفسها ، تدعها وتقويها ، وهذا مثل حي ينبغي أن نضعه
أمام أعين كل من يهيم له أفقه الضيق وأفق من حوله أن التحول
قيد أنملة عن الخط الذي هو في أغلب الاحيان غير واضح في
تفكيرهم لمستقبلهم سوف يذهب بهذا المستقبل كله . ويقول
الدكتور نجيب محفوظ نفسه عن السنتين اللتين قضاها طيبيا
للتخدير « واني لأحمل أجمل الذكرى لهاتين السنتين فقد اكتسبت
خلالهما من المعلومات ما كان خير معين لى فيما بعد ، ولم أجد
فى عملى صعوبة منذ بدأت ، وقد كنت أتقنت التخدير فى
مستشفى السويس » .

الصدق مع النفس

وكان من أبرز صفات الدكتور نجيب باشا وأهم عوامل
نجاحه صدقه مع نفسه ، وكان يطالب الشباب أن يلتزموا الصدق
مع أنفسهم قبل الصدق مع الناس « فلا يحاولوا تبرير عمل

خاطيء باقناع أنفسهم بأنهم على صواب وكان يقول ان أقوى ضروب الشجاعة هي شجاعة المرء في مواجهة خطئه والاعتراف به ومحاولة اصلاحه .

على أنه ينبغي لنا أن نذكر في وضوح أن بعد نجيب محفوظ عن مواقع المناصب الرسمية لم يكن أبدا عن سلبية أو مهادنة ! أو امساكا للعصا من الوسط ، وهو ما قد يظن في مثل حالة عالم ذكى هادىء مثله ، انما يحدثنا الدكتور سليمان عزمى في وضوح وكأنه أدرك ما قد يتراءى للناس من ذلك الظن فيقول : « بقى أمر لا أرى بدا من الاشارة اليه وهو فضله الذى لا يمكن أن ينسى في تقدم كلية الطب لا في قسم الولادة وأمراض النساء فحسب بل في الكلية كلها كوحدة . واذا جهل رأى العام هذا الفضل فلا نجعله نحن الذين زاملناه في مجلس المدرسة وفي مجلس الكلية وفي مجلس الجامعة وفي اللجان العديدة التى كان يعين فيها رئيسا أو عضوا وشاهدنا المواقف الرائعة التى كان يقفها مدافعا عن الحق ودافعا الباطل . وكانت له دائما آراء ثابتة موفقة وضع فيها مصلحة العلم فوق كل شيء » .

آداب المهنة :

كان رائدا في آداب المهنة بلاشك ، والدكتور مصطفى فهمى سرور يحدثنا أنه كان يشع وقارا ومراعاة لاحساس

المرأة في ذلك الوقت فكان شديد الحرص على الا يكشف من
الجسم ما لا داعي لكشفه • وهو أول من درس آداب الكشف
الطبي لطالب الطب •

ولما كنا نقف على بوابة قصر العيني لانتظار الدكتور
محفوظ كنا نتراهن على سبقه بالتحية فلم يكسب منا أحد
هذا الرهان اذ كان نجيب سابقا أبدا بالتحية لتلاميذه •

الباب الثالث

نجيب محفوظ عالما وطيبا

كان الدكتور نجيب محفوظ عصاميا بلاشك ، وقد لا يكون أعمق العصاميين عصامية ، ولكنه مع هذا عصامى فى مجده ، عصامى فى كل خطواته ، عصامى فى عمله ، ولعل هذه أبرز الصفات التى ينبغى لنا أن نقف عندها بالتأمل ، ذلك أن محفوظ يمثل لنا ذلك النوع من المواطنين الوطنيين الذين لا يتاح لهم ذلك الاتصال بالحضارة الا على أرض بلادهم ، وهم مع هذا ينقلون بلادهم فى مجال ما الى مستوى الحضارات السابقة بعمل دءوب على أرض بلادهم .. ومع كل التقدير لأهل البعثات وأصحابها ومرسلها وباعثها يبقى تقدير أعمق للذين يحفرون فى الصخر حتى يصلوا الى الكنوز ، الكنوز التى فى نفوسهم ذاتها ، وأحب هنا أن أترك القارئ مع عبارات الدكتور المياوى باشا زميل نجيب محفوظ وهو يلقي الضوء على هذه النقطة من مفهوم آخر لا يبعد كثيرا عن فكرنا الأعم فيقول :

« ويمتاز محفوظ عن غيره من النوابغ الذين يجب السير على مناهجهم بأن نبوغه كان نبوغا ذاتيا لا فضل لأى شخص فيه، فقد توفى والده وهو صغير السن فاعتمد على نفسه فى تثقيف شخصه فى العلوم الدراسية الثانوية وليس له من مشير غير جده

واجتهاده واعتماده على شخصيته ومثانة أخلاقه وهو لا يزال بعد في طور الشباب • ثم نجح نجاحا باهرا في مدرسة الطب حتى ان مصلحة الصحة انتخبته طبيبا ثانيا لمستشفى السويس وهو مركز لا يصل اليه الا أوائل الناجحين بعد تدريبهم تدريبا كافيا ولم يمكث سنة واحدة هناك حتى ظهرت كفاءته الممتازة وانتخب مساعدا لقسم أمراض النساء بقصر العيني وكان هو وحده الذى يدير هذا القسم اذ لم يكن له رئيس • وكانت العمليات تعمل باتحاده مع رؤساء أقسام الجراحة الانجليز • وهنا ظهر نبوغه الذاتى لأنه فى خلال السنوات التى اشتغل فيها وحده قبل حضور الأستاذ دوين كان يتدرب على دراسة علوم أمراض النساء والولادة تدريبا وافيا غير معتمد على معلم أو مستشار بل كان كل اعتماده على التنقيب العلمى فى الكتب والمجلات وعلى الملاحظات الاكلينيكية يدرسها بجانب أسرة المرضى وفى غرف العمليات •

ولما حضر دوين وكان من أساتذة علمه فى ايرلاندة وجد محفوظا مستكملا كل مؤهلات العلم الذى جاء ليدرسه وفوق ذلك لاحظ أن له (يدين) لم يكن له عهد برؤية مثلهما فى البراعة فى غيره من أساطين الجراحين • وما كادت تمر سنة واحدة حتى التهم محفوظ كل ما وجده فى جعبة دوين من العلم الحديث وصار فى لمح البصر كفاء له وقرينا يعتمد عليه ولم ترعيني ولم

تسمع أذنى عن شخصيتين كاتتا يحبان بعضهما ويحترمان
شخصيهما كما كان دوين ومحفوظ •

والدليل الآخر على نبوغه الذاتى هو تفوقه على معاصريه
فى عمله بدون أن يسعى الى بلاد العالم فى أوروبا وفى أمريكا
وبدون أن يقضى سنين عديدة طالبا هناك كما فعل غيره من
أساتذة القصر العينى ولكنه درس علمه بنفسه ولم يكن يضع
دقيقة من وقته فى غير بحث مرضاه واستكشاف ما استعصى
عليه وعلى غيره فيما بين أسرة المرضى وغرف العمليات ومتاحف
علم الأمراض • وقد درس علم الباثولوجى وشيد متحفا يفخر
على متاحف العالم أجمع فى المجموعات التى يحتوى عليها من
شتى أنواع الولادات والأمراض النسائية وكان فى ذلك معلم
نفسه ومدرّب شخصه الأواحد مستفيدا من كل من جاوره من
أساتذة الباثولوجيا ومساعدى وغيرهم بقدر ما تسمح له أوقاته
ومعلومات هؤلاء ولكن جل اعتماده كان على نظرات عينيه الثابتة
وسرعة خاطره فى البحث والاستكشاف والاقتراس الصحيح من
كل ما يراه ولذلك جاء متحفه متحفا تعجز المتاحف التى يديرها
أعظم الاختصاصيين فى علم الباثولوجيا عن اعداد مثله •

كان نجيب محفوظ عالما وطنيا من أولئك الذين اتيح لهم
أن تكون آراؤهم العلمية محل احترام الأوساط الدولية ، وهى
خطوة تتأتى مع الجهد الدءوب والملاحظة الذكية ثم بالاتصال

مع هذه الهيئات ونشر الآراء على أهلها ، وىروى الدكتور محمود فاضل سليم أنه حين كان يطالع كتاب « فكتوربونى Victor Bonney » عن « الشاذ فى الولادة » رأته يذكر أن محفوظ هو من أوائل الجراحين الذين أثبتوا الضرر الفاضح فى اجراء عمليات جراحية لمرضى وهم فى حالة صدمة shock وأنه من أوائل الذين أشاروا بنقل الدم نقطة نقطة فى معالجة الأنزفة وأن الحرب العالمية الأخيرة حققت آراءه وملاحظاته فى هذا الشأن وأثبتت صواب ما أشار به وأتقذت أرواح الكثرين ممن كانوا لا يرجى لهم شفاء » •

تمثلت روح العالم الدعوب فى نجيب محفوظ ، خير تمثيل ، لم يكن البحث العلمى فى الطب الاكلىنىكى يومها قد تطور الى مراحل نشهدها اليوم ، ولكن نجيب محفوظ كان فى البحث العلمى على نفس المستوى من المهارة الاكلىنىكية التى صاغها • وتتضح فى بحوث نجيب محفوظ صفة « الفردية » بشكل واضح ، وقد لا يكون فى هذا ما يعيب ، ولكن الذى يضاف اليه فى هذا الشأن أنه كان فى بحوثه حلقة بين البحوث السابقة عليه واللاحقة له •

ولا يمكن لنا أن ندعى أن محفوظ قد استطاع أن يؤسس مدرسة بحثية تواصل العمل فى قضايا معينة من بعده ، ولكننا لا نستطيع أن نلقى على عاتقه بكل الذنب فى هذا • ويحدثنا

زميله الدكتور محمود بك اسماعيل عن هذه الناحية فيقول :
« أما محفوظ البحاثة فحدث عنه ولا حرج فهو لا يمل كثرة
الاطلاع ولا يكل من التنقيب مسيرا الزمن في أبحاثه وتأليفه .
كثيرا ما كنت أدخل عليه في مكتبه فاذا به وسط كومة من الكتب
والمجلات والمراجع لا يكاد يظهر بينها قلب هذا ويستشهد بذاك
ويدون ما يعن له من آراء . ولن أطيل في الحديث عن أبحاثه
فقد أصبحت منارة لكبار العلماء وكم شهدوا له بقيمة هذه
الأبحاث وكم كرموه من أجلها فكرموا مصرنا العزيزة الناهضة
في شخصه » .

كانت نسبة من بحوث محفوظ وكتاباتهِ بالطبع من
ذلك النوع الذي يسمى بالريفيو أو الايديتوريال
Review or Editorial وفي هذا النوع من البحوث يتفاضل
العلماء الباحثون أيضا بمقدار سعة اطلاعهم وقدرتهم على انتظام
الخبرة العالمية كلها في مقال واحد . . وهو ما لا يأتي الا للذين
هضموا العلم بجزئياته وأساسياته ، وهو ما تحقق لنجيب
محفوظ بالفعل .

خلق الاتقان :

وليس معنى هذا أنه لم يكن بالرجل المبتكر ، ولكن المعنى
أن العنصر البارز وراء ابتكاره ، وأمام ابتكاره أيضا ، كان هو
الاتقان ، وقد استطاع الدكتور نجيب محفوظ أن يسجل باسمه
عدة عمليات رفيعة المستوى ، فقد ابتكر (١٩٣٢) جراحة لوصل

المثانة بقناة مجرى البول اذا انعدم عنق المثانة بسبب عسر الولادة ، وهى العملية التى اذاع تفاصيلها فى مؤتمر القدس ، كما ابتكر جراحة أخرى لعلاج النواسير التى تكون بين عنق الرحم والمستقيم ، واستطاع أن يتوصل الى زرع الحالب فى المثانة فى نواسير القبوة عن طريق المهبل . . كما سجلت له مراجع أمراض النساء طريقته الخاصة باصلاح المثانة عندما ينعدم جدارها الخلفى ، مع جدار المهبل فى اثر الولادات العسرة .

لم يكن من حظ المؤلف بالطبع أن يكون تلميذا مباشرا لنجيب محفوظ ولكن الأولى به أن ينقل فى الحديث عن أستاذه عن واحد من الذين أدركوه أستاذا ، ثم زاملوه فى التدريس ، ومن هؤلاء الدكتور رشدى اسماعيل الذى يحدثنا عن هذا الجانب من محفوظ باشا فيقول :

« عرفته فى ذلك العهد أستاذا للولادة وأمراض النساء فكان ممتازا فى عمله لبقا فى دروسه ، عذبا فى محاضراته وأحاديثه ، وكان يعهد الى الموضوعات الصعبة فيعرضها علينا فى أسلوب واضح وطريقة قصصية مجبوبة فيسهل الصعب ويصل الدرس الى قلوبنا وعقولنا بفضل مهارته فى التدريس وكان يعنى بدروسه التى يلقيها علينا عناية تامة فكان يعتمد فى مادتها على ما يعثر عليه من المراجع الكثيرة مقرونا بما وصل اليه من تجاربه الخاصة وما اهتدى اليه من آراء ويقدم ذلك كله ممتزجا

فى وضوح ودقة متخذاً من الفانوس السحرى أداة لتسهيل
الشرح » •

« وكان يجب طلبته ويعنى بأمرهم وهم فى مصر والخارج
فيراسلهم ويشجعهم ويوصى أصدقاءه من الأساتذة الانجليز
بهم ويسافر فى الصيف الى انجلترا للاتصال بهم واسداء النصح
لهم وتذليل الصعاب أمامهم فكانوا يجدون من عطفه عليهم
حافزا لهم على الجد والاجتهاد ففازوا جميعا بالنجاح » •

ويتطرق الدكتور رشدى اسماعيل الى المهارة الجراحية
للأستاذ محفوظ ، ونمضى معه حين يقول : وظهرت لى مهارته
العلمية والعملية فى كل يوم ساعدته فيه وكل عملية أشرف عليها
أو قام بها وأذكر أننى ساعدته مرة فى عملية قيصرية لمريضة
حامل فى الشهر التاسع وكان عندها هبوط شديد فى القلب
فأجرى العملية بنجاح وفى سبع دقائق فقط » •

وساعدته فى كثير من العمليات منها عمليات الناسور البولى
المستعصية وكنت أعجب كيف يكون هناك أمل فى شفاء المريضة
ونجاح العملية ، ولكن محفوظ باشا علمنا الصبر والمثابرة
والتضحية وعدم اليأس فى علاج المرضى مهما كلفنا ذلك من
التضحية بالصحة والوقت ففى هذه العمليات التى تبدو وكأنها
غير قابلة للشفاء كان يثابر على العلاج من غير يأس أو ضجر •

فاذا لم ينجح فى العملية الأولى عمد الى أخرى فثالثة فرابعة حتى يتم الشفاء • وأذكر مثالا لمهارته ومثابرته أنه أجرى لاحدى الريفات عملية ناسور بولى اثنتى عشرة مرة ولم يقطع الأمل فى شفائها حتى برئت وتحقق أملها بعد هذا الجهد والعناء • أما المجهود البدنى والذهنى اللذان هما من مستلزمات جراحة النواسير البولية فلا يجهلها أحد من الذين كابدوا عملها •

وسوف نستعرض فى الفقرات التالية آراء العلماء البريطانيين الكبار فى شخص نجيب محفوظ وعلمه وفضله على فرع تخصصه ، وهو كلام لا يلقي على عواهنه مهما يكن فيه من قدر من المجاملة لفيف لهم يكرمونه •

فاللورد دوس أون رئيس كلية الاطباء الباطنيين الملكية يكرم محفوظ باشا فى الحفل الذى اقيم بمناسبة منحه الزمالة الفخرية لكلية أطباء النساء والولادة ويقول : « أرجو أن تسمحوا لى أن أتكلم عن محفوظ من الوجهة الاخلاقية اذ أن مكاتبه العلمية الممتازة التى رفعته الى أسمى مركز يطمع فيه عالم من العلماء معروفة لكم جميعا : ان دماثته ومثانة أخلاقه كاتتا من أهم الأسباب التى أدت الى رفع سمعة كلية الطب المصرية الى المستوى العالى الذى بلغته فى السنين الأخيرة ، وأريد أن ألفت النظر بصفة خاصة الى هدوئه الطبيعى وتواضعه وهربه من الشهرة وهى الصفات التى يمتاز بها العالم الحقيقى ،

ولمحفوظ وقفات مشرفة في الدفاع عن الحق في أوقات كانت فيها كلية الطب المصرية في ظروف حرجة جدا وكانت تلك الوقفات من محفوظ من أهم العوامل التي أبقت على المدرسة سمعتها الطبية • واني من صميم فؤادي أهنيء كلية المولدين وأطباء أمراض النساء بلندن لأنها عرفت كيف تقدر كفاءة الرجل النافع بمنحها اياه أكبر شرف تستطيع أن تمنحه وهو زمالتها الفخرية التي لم تمنحها قبل الآن الا لأربعة من علماء العالم المتأزين » •

والدكتور جيمس ينج عميد كلية الدراسات العليا لأمراض النساء والولادة في جامعة لندن يعقب على محاضرات الدكتور محفوظ في الكلية عام (١٩٣٧) فيقول : « اعتادت جامعة لندن أن تدعو من وقت لآخر عالما من الذين امتازوا في فرع من فروع الطب من ممالك العالم المختلفة لينشروا آراءهم على العالم الطبى البريطانى وقد وقع الاختيار في فن أمراض النساء والولادة على العالم المصرى الفذ محفوظ باشا وقد سمعتم ما أتحفنا به هذا الخطيب اللبق من الأبحاث معدومة النظير وأظن أنكم جميعا توافقوننى على أن محاضراته كانت على جانب عظيم من الأهمية ، ويسرنى اليوم بصفتى عميدا لكلية الدراسات العليا أن أقرر أنه لم تلق من فوق هذا المنبر محاضرات أعظم فائدة ولا أخطر شأنًا من المحاضرات التي ألقاها علينا محفوظ باشا من يوم أن أنشئت هذه الكلية الى اليوم ، ولا أظن أنه

يوجد طبيب في العالم حاز الخبرة التي حازها محفوظ باشا ،
ولو سلمنا جدلا بإمكان ذلك فأنا على يقين من أنه لم يوجد
شخص آخر استطاع أن ينتفع بخبرته وان يبلغها للعالم الطبى
بمثل المقدرة التي أظهرها محفوظ ، وفي ذات الجلسة يتحدث
السير هربرت سبنسر أحد علماء الطب المشهورين وأستاذ
الولادة في جامعة لندن فيقول : « أنا رجل مسن بلغت من
العمر ثمانين عاما وتركت الاشتغال بالطب منذ احدى عشرة سنة
ولكنى لما علمت أن محفوظ باشا سيحاضرنا اليوم لم أستطع
مقاومة الرغبة الملحة التي أرغمتنى بالرغم من ضعف صحتى على
الحضور اليوم • اننى منذ خمس سنوات تقريبا سمعت لأول
مرة محاضرة محفوظ باشا في العيد المئوى للاتحاد الطبى
البريطانى وكان شعورى وقتئذ شعور الرجل الذى اكتشف
كنزا عظيما • وهذا هو نفس الشعور الذى أشعر به
اليوم » •

أما السير كومينز باركلي الذى كان يتولى الاشراف على
نشر مجلة أمراض النساء والولادة فيقرر « أنه لا يذكر أن
بحوثا أخرى نشرت بالمجلة نالت اعجاب وتقدير الاطباء مثل
ما نالت أبحاث محفوظ باشا وأن معظم المدارس الطبية تطلب
منها نسخا كثيرة •

وفي الحفل الذى أقامته كلية الجراحين الملكية فى القاهرة

(١٩٤٣) خُصيصا لتسليم الدكتور نجيب محفوظ زمالتها
الفخرية بعد ما تعذر سفره للندن لتسلم الجائزة ، خطب السير
جوردون تيلور الوكيل الأول للكلية فقال : « ان هذا اليوم
يوم مشهود ، يوم تاريخي ، اذ تقدم فيه كلية الجراحين الملكية
بانجلترا أكبر شرف في استطاعتها أن تقدمه وهو زمالتها الفخرية
الى أكبر طبيب في أمراض النساء والولادة بلغ قمة الشهرة
في فنه ، وقد راعت الكلية في تقديم هذه الزمالة الدرجة
العلمية الممتازة التي يحتلها محفوظ باشا لا في مصر وانجلترا
وحدهما بل في العالم أجمع » •

وقرأت مجلة « اللانست » أعلسه فوصفته بأنه : « أعظم
مؤلف صدر حتى اليوم في انجلترا أو أمريكا أو ألمانيا في
هذا العلم ، وهو مؤلف يجب ألا تخلو منه مكتبة متخصصة
في هذا الفرع في جامعة من الجامعات » •

وفي حديث البروفسور نكسون عبارات كثيرة تستحق
التأمل منها : « ان علم الطب لا يعرف حدودا ، ويعود لأمثال
نجيب محفوظ باشا الفضل في تعزيز التفاهم وحسن النية بين
مختلف الدول وقد ساهم بنصيب وافر في التقريب بين الطبين
البريطاني والمصري وستظل مساهمته في هذا الميدان أمرا خالدا
على مر الأيام » •

« وائى أعتقد أن أعظم خدمة أسداها الدكتور محفوظ باشا هى أنه كان فى طليعة المشتغلين بالتوليد وأمراض النساء فى مصر . واليه يعود الفضل الأكبر فى تنبيه الرأى العام الى أهمية العناية بالأم قبل الوضع ومن أهم ما يذكر له ابتكاره عمليات جديدة لشفاء بعض أمراض نسائية لم يكن فى الامكان شفاؤها قبلًا » .

وبعد أن منح الدكتور محفوظ زمالة الجمعية الطبية للملكية البريطانية ، أقامت له كلية الجراحين حفلا تحدث فيه السير جونسون حديثا قال فى نهايته : « قد سبق أن قدمنا لمحفوظ باشا أكبر شرف فى طاقة الكلية أن تمنحه هو زمالتها الفخرية التى لم تهد لأكثر من عشرين من عظماء الجراحين واليوم تهديه الكلية احدى النسختين الموجودتين فى العالم من أطلس هنتر للرحم الحامل تقديرا لأبحاثه العلمية الأخيرة » .

وقد أهدى الدكتور محفوظ هذه النسخة من الأطلس النادر الى مكتبة كلية الطب .

وفى حفل الجمعية الملكية ذاتها لتكريم نجيب محفوظ (١٩٤٧) قال السير كاسيدى رئيس الجمعية : « قد راعت الجمعية فى تقديم زمالتها الفخرية الى محفوظ باشا شهرته العالمية التى ذاعت فى أنحاء العالم كله والأبحاث الفذة التى أدت الى

تقدم حقيقى فى فنى أمراض النساء والولادة ومركزه العلمى
المتاز فى العالم الطبى الذى وصل الى قمته » .

ووصف نجيب محفوظ فى هذا الحفل بأنه : أكبر اطباء
النساء والولادة الذين كانوا على قيد الحياة يومها (ومع هذا
مد الله فى عمره ربع قرن بعدها !!) .

ولعل البحث العلمى الدءوب الذى كان من أبرز نشاطات
الدكتور محفوظ كان من أقوى الدوافع وراء المكانة الرسمية
فى مقاعد العلم الأكاديمية التى سرعان ما احتلها العالم العظيم
وفى هذا يروى الدكتور سليمان عزمى أنه « بعد أن أخذت
ميول محفوظ العلمية تؤتى ثمرتها نشر البحث تلو البحث فى
معضلات الولادة وأمراض النساء كما انه اسبغ على عملياته آخر
ما عرف من الاتقان . ولم يقف بهذه العمليات على ما هو
معلوم فيها بل أضاف إليها (سيلا) من العمليات التى ابتكرها
ونسبت اليه وكان ذلك من أكبر الدواعى التى حدثت بمجلس
المدرسة الى انشاء أستاذية أخرى بجانب الأستاذية التى كان
يشغلها الدكتور دوين وأسندت الى محفوظ وكانت هذه أول
أستاذية أسندت الى مصرى فى عهد المدرسة الحديث وقد تخرج
على يديه أثناء شغله لها عدد كبير من الاختصاصيين فى هذا الفرع
تفخر بهم البلاد .

ومما يذكر بالثناء لمحفوظ أن عمله الخارجى الضخم
ومسئوليته الجمة فى المستشفى والمدرسة لم تكن تمنعه عن
مواصلة البحث العلمى ذلك البحث الذى جعل له اسما بارزا
رنا لا فى مصر فحسب بل فى العالم أجمع .

طبيب النساء :

وفى الفقرات التالية يقودنا القلم الى الحديث عن الدكتور
نجيب محفوظ طبيب أمراض النساء والولادة .

وربما كان الدكتور نجيب محفوظ - كما قال تلاميذه عنه
فى أواخر حياته - هو طبيب أمراض النساء الوحيد الذى
يستطيع تحديد حالة الجنين والوقوف على أسرارهِ دون استخدام
المنظار . ولعل السبب العلمى وراء ذلك أنه كان فى بدء حياته
العلمية فى أوليات هذا القرن مضطرا لاستغلال كل ذرة من
ذكائه وخبرته للاستغناء عن الكشف على المرأة وهو الأمر الذى
كانت نساء الجيل الماضى يرين فيه جرحا لكرامتهن .

وكان الدكتور نجيب محفوظ يؤكد (كما أفاض فى حديثه
للسيدة حسن شاه على صفحات جريدة الأخبار) على حاجة
طبيب النساء الى ثقة المرأة حتى ترتاح اليه وتحكى له أسرارها
فيصل الى المرض والى العلاج .

وقد تحدثنا فى موضع آخر عن تواضع الدكتور نجيب

محفوظ ، وعظمة هذا التواضع ، ولكن الأبلغ من هذا أن تحدث عن تواضعه في علمه وخبرته حين قيل له على لسان أحد الصحفيين : « أنت لم تخطئ أبدا في تشخيص المرض » فقال : هذا غير صحيح فالطبيب الذي لم يخطئ في التشخيص لم يولد بعد .

وطلاب الطب يدرسون اليوم في علم النساء الولادة بابا كبيرا للرعاية التي يجب أن تحظى بها الأم قبل الوضع ، ولعلمهم لا يعلمون أن الدكتور نجيب محفوظ كان من أوائل من نبهوا الى أهمية هذه الدراسة والرعاية على المستوى الدولي .

وامتدت دراسات الدكتور نجيب محفوظ الى مومياء الفراعنة ، فاكتشف مرض الناسور البولي في هذه المومياءات مما دل على براعة اكلينكية وحس علمي مرهف .

الحكمة الاكلينكية :

والسنة الناس في عهد نجيب محفوظ وهو عهد قريب منا تذكر له كثيرا من النجاحات التي انفرد بها من دون زملائه ، وهذه السلسلة من النجاحات هي بلاشك العامل الأول أو الأثر الأول لتفوقه الاكلينكي ، ومن أمثلتها ما تناقلته وسائل الاعلام حين استطاع علاج حرم السفير العراقي في مصر (١٩٥٧) وأن ولد على يديه على حين فشل فريق الاطباء المعالجين لها في لندن من قبل .

تنظيم الأسرة :

ولابد للمرء حين يتناول الحديث عن نجيب محفوظ ، أن يخصص بعضا من الفقرات للحديث عن وجهة نظر عميد أطباء النساء في تنظيم الأسرة ، وقد كان الرجل لا يكل ولا يمل من أن يعلن أنه ضد الاجهاض ، « وأنه جريمة في رأيه وأنه لحسن الحظ كذلك في قانون العقوبات » ومع هذا كان الدكتور نجيب محفوظ يؤيد تنظيم الأسرة بحيث لا تزيد عن ثلاثة أو أربعة .. وسئل عن أحسن وسائل تنظيم الأسرة يومها فقال انها « العجلة الحاجزة » . وسئل عن الحل على المدى الطويل فقال : « انه نشر التريية الجنسية » .

ولا يفوتنا أن نشير هنا للأهمية الى ما قاله الدكتور نجيب محفوظ ذات مرة أن أهم أسباب العقم في مصر هو « البلهارسيا » .

تقدم التخصص بفضل الرائد الاول :

ولاشك أن الأثر الذي كان للدكتور نجيب محفوظ في النهوض بعلم أمراض النساء والولادة على المستوى القومى كان أثرا عظيما ، وهذا الأثر العظيم لا يحتاج الى لجان موسعة للاقرار به أو الايمان بمدى عظمته وانما يستطيع كل مواطن عادى أن يلمسه واضحا جليا ظاهرا ، فلاشك أن التقدم

الاكلينيكى عند طبيب النساء والولادة المصرى لا يقل عن مثيله عند أى زميل له فى أى فرع آخر من فروع الطب ولاشك أيضا أن نسبة النبوغ بين أطباء النساء والولادة مرتفعة عنها بين غيرهم ، وهذا واضح ، ولاشك أن أطباء النساء والولادة المصريين يقومون بجهد جبار ليل نهار ، ولاشك أن عندنا عددا كبيرا من أطباء النساء والولادة يعدون من أقطاب النساء والولادة فى العالم وكان الدكتور نجيب محفوظ فى أخريات حياته يقدر عدد هؤلاء الأقطاب المصريين بما لا يقل عن ثلاثين ، ولعلمهم لايزالون يتكاثرون .

ويكفى أن نذكر هنا ما جاء على لسان الدكتور نجيب محفوظ بنفسه أننا كنا أصحاب الرقم القياسى فى الولادة المتعسرة فأصبحنا « بفضل انشاء العيادات وتعميمها وقد انخفضت النسبة الى حدودها الدنيا » .

الجبر والاختيار :

وعلى نحو ما نجد من اخلاق العلماء العاملين نجد الدكتور نجيب محفوظ يؤمن بالاختيار مع تسليمه بالقدر ، وإن كان إيمانه بالأخير أقوى ، والسر فى قوة إيمانه بالاختيار يرجع الى عاملين عامل روحى يتمثل فى إيمانه بعدل الله وكمال قدرته ، وعامل يأتى له من خبرته فى الحياة على نحو عميق وطويل يتيح له أن

يرى رد الفعل الحقيقى وان تمهل ظهوره ، هذه الفلسفة نجدها في نظرة الدكتور نجيب باشا الى كل الأحداث التى سردها في كتابه ، ومع هذا نجدها أيضا واضحة صريحة في عبارة له في فصل من فصول كتابه وهو الفصل الذى يحمل عنوان « القدر » حين يذكر عالمنا صراحة أنه « في قرارة نفسى لا أطمئن الى أن الله الذى ليس لكماله حد ، يعاقب انسانا على شر فرضه عليه فرضا ولا حيلة لانسان فيه ، كما لا يشيب آخر على خير لم يكن له فضل في اختياره » .

ومع هذا فان الدكتور نجيب محفوظ يلتفت بكل قواه العقلية الى جانب سيكولوجى هام في مسألة القدر حين يؤكد أن مثل قول الشاعر :

مشيناها خطى كتبت علينا
ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت منيته بارض
فليس يموت بارض سواها

هى أقوال تشفى قلوب الثاكليين وتنزل السكينة والطمأنينة على نفوس من يعانون الشدائد ويكابدون الآلام .

سيكولوجية الرضا :

واضح اذن هنا هذا الفصل الدقيق بين معنيين ينبعان من فلسفة واحدة لا تتأتى الا للعلماء العاملين أو بعبارة أخرى

للمتنورين المجربين ، فالنظرة الى القدر عند طيبنا الذى بلغ من العمر سنين الحكمة (مرة بعد أخرى) تأخذ بجانب الايمان بالله وقدرته ايمانا بعدله وبرحمته • ثم هى مع هذا لا تنكر القيمة السيكولوجية التى قد يحققها للناس - فى وقت حاجتهم اليها - ايمانهم بأن المصائب قدر ، فتخفف عنهم آثارها • • وهو تفكير قريب من التفكير الطبى الذى يعالج بالمخدرات لازالة الآلام ، ولكنه لا يستطيع أن يصفها طوال الوقت •

العفاريات :

بعد هذا • • هل لنا أن نتقل فنشير الى أنه كان من الطريف (ولكن قد لا يكون من الطريف منا الآن) أن يفرد الدكتور نجيب باشا للحديث عن العفاريات فقرات مطولة من كتابه ، فقد كانت تربيته على يد أبوين متعلمين توحى له أن العفاريات خرافة ليس الا ، وكذلك كانت مدرسة الأمريكان تحرص على تأكيد هذا المعنى ولكن المسألة كان لها جانب آخر ، لعل مصدره بل ان مصدره هو هاتيك الخدمات ذوات المستوى العقلى المحدود والفراغ الذى لا يملؤه الا مثل هذا النوع من الأحاديث التى تناسب بصورة درامية مع فضولهم الذى يحتاج الى درجة عالية الحبكة من الخيال المصنوع أو المطبوع على حد سواء •

وفى معرض حديثه عن ذكريات الطفولة يقول طيبنا « وكانت تسليتنا كل مساء هى الاصغاء الى الحوادث التى كانت

الخدمات - فى ذلك الحين - يتقن القاءها كل الاتقان ، وكان معظمها يتعلق بالجن والعفاريت ، وكان الاعتقاد سائدا بوجودها « وهنا يستطرد ليقرر » ولكن لا أدري لماذا كنت أنكر ذلك ألبته ، ولا أصدق وقوع شئ خارق للمألوف ، فاذا استمعت الى قصص من هذا القبيل قصدت بسماعه التسلية وتمضية الوقت حتى يحين ميعاد النوم » واذن فهناك طائفة من الاطفال هم فى الغالب طائفة ذوى المدارك الواسعة يستطيعون أن يأخذوا هذه الخرافات مأخذ الهزل لمجرد التسلية واذن فبوسعنا اذا لم نستطع أن نقضى على هذه الخرافات أن ننمى هذه المدارك .. ولعل مثل هذه التنمية أكثر عملية من ذلك القضاء .

ويمضى نجيب محفوظ ليروى قصة مجيء أسرة خاله ومعها خدمها لقضاء الصيف « وكان من بين الخدم سيدة فارعة القامة اسمها فجر وجرت بينى وبينها مناقشة حول الجن والعفاريت فادعت أنها رأتهم رأى العين غير مرة ، فعارضتها ، فأغضبها ذلك منى وأسرت فى نفسها أمرا هالك تفصيله : « حدث انى فى فترة وجود خالى بمنزلنا ، كنت أشهد اجتماعات تقيمها المدرسة وكانت هذه مساءية تمتد الى الساعة التاسعة ، وكنت بعدها أعود وحدى الى المنزل ، وفى الليالى التى لا يكون فيها القمر ساطعا تظل المنصورة فى ظلام دامس ، وحدث ذات ليلة وأنا عائدا ، والطريق مظلم ان رأيت على مقربة من الدار

شبحا ملتفا في ملاءة بيضاء ففزعت غاية الفرع ،
وأحسست وقد اختل توازنى من الذعر اختلالا سقط له
طربوشى ، فلم أعبأ به ، وجريت الى الدار فرارا من الشبح
المخيف ، فلما اجتمعنا نحن الصغار ، جلست الينا تلك الخادمة
« فجر » تقص علينا حكايات العفاريت كعادتها • ثم أخذت
تقول : « أهو نجيب ظهر له الليلة عفريت وخطف طربوشه وقد
استطعت أن استرده منه • شفت بقى يأسى نجيب ؟ اتفضل
طربوشك أهه » قال نجيب فأدركت على الفور أنها هى التى
تمثلت لى شبحا فى الظلام • وأنها عمدت الى ذلك لتقنعنى
بما انكر من وجود العفاريت • فقلت لها مجابها : « وكيف
استطعت استخلاص الطربوش من العفريت ؟ كلام فارغ انك أنت
التى ازعجتنى ، وحصولك على الطربوش دليل على ذلك ،
فلم تجادلنى وعرفت أن حيلتها انكشفت » وتطرقت الخادمة
« فجر » الى موضوع آخر • ترى هل لو كانت الخادمة قد
سكتت عن الطربوش وعن الحادث ، هل كان ذلك يزعزع من
انكار عالمنا للعفاريت ؟ على أية حال فان لها فضلا فى تعميق
انكاره •

التفكير البسيط :

كان لهذه الخادمة فضل آخر فى تعميق ايمان صاحبنا
بعدم وجود العفاريت ، وذلك أنها لما كشف نجيب أمرها

حولت الموضوع الى ما تردد في ذلك الوقت من أمر الدار المقابلة، وأن عفريتاً يقذفها كل ظهر بالحصى الكبيرة ، حتى هجرها ساكنوها ، وسألت نجيب عن رأيه في ذلك ، كأنها تتحداه . فقال الطفل الأملعى لا بد من سبب وذهب معها في الصباح التالى ليرى الدار فرآها مفروشة بالحصى ، فعجب ، ولكنه لم يخامره شك في أن لذلك سبباً معقولاً ، وانتظر حتى كان يوم السبت يوم أجازتهم وتسلى الى الدار وحده ، وظل مختبئاً تحت الحجرات حتى صاح المؤذن لصلاة الظهر « فأخذ الحصى الكبير يتساقط على الدار ، وتبينت بوضوح - وأنا مختبئ - تحت شباك - رجلاً وامرأة في الدار المجاورة يقذفان الحصى ويتخفيان - فلما انقطع قذف الحصى خرجت دون أن يرانى أحد وذهبت مسرعا الى دارنا » ... وقص نجيب على والده الخبر ، وكانت لوالده بصاحب الدار المهجورة صلة ، فبعث وأخبره بما رأى نجيب فقال الرجل : « هذا عجيب حقاً .. انى كنت فعلاً أعتقد ان الدار قد سكنتها العفاريت ، وذكر أن جاره قد عرض عليه شراءها منه بثمان بخص ، وكان على وشك أن يبيعه اياها ، أما وقد بانث له الحقيقة ، فهو سيهدد ذلك الجار برفع الشكوى الى الشرطة .. قال نجيب باشا براءة الأديب المعقب بعد سرده للقصة على هذا النحو « ومنذ ذلك الحين انقطع سقوط الحصى على الدار .. وأهلت بالسكان » .. هكذا كان سلوك نجيب محفوظ ازاء العفاريت ، شاء الله له أن يأخذ بمنطق عقلانى ،

ولم يكن له مع تربيته التى أسلفنا له القول فيها أن يأخذ بغير العقلانية ، ثم شاء له الله أن تمضى معه الحوادث لتؤيد هذا المنطق ، فى زمن لم يكن للمنطق فى مثل هذا الموضوع حظ .

وبعد فما أظنه (مع أنه قد بدا لى كذلك أكثر من مرتين) كان ترفا ، ولا عبثا ، أن تفرد الفقرات السابقة لحديث العفارىت ذلك أن فهم نجيب محفوظ الصبى الصغير لطبيعة العفارىت لم يكن الا صورة من فهم نجيب محفوظ الكبير لطبائع الأشياء ، وهو الفهم الذى تعامل به مع المشكلات الطبية والجراحية التى مارسها بعد ذلك سبعين حولا من الزمان ، ولم يعد هذا المفهوم الذى فهم به الدكتور نجيب محفوظ المسألة نادر الوجود ، ولا صعبا على عقول أطفالنا ، ولكن هذا لا يمنعنا أن نفيد من المنهج الذى ربى مثل هذه العقلية فى صفرها . وبخاصة أننا نرى اليوم حين نربى جيلنا الجديد سنجدهم أكثر عرضة لمثل هذه المفاهيم البالية التى هى كفيلة بكثير من التحجيم لكثير من العقليات ، وسنجدهم أكثر عرضة لهذا نتيجة وقوعهم فريسة الإهمال الذى فرضته قسوة ومشاكل الحياة !!

الباب الرابع

قدرات نجيب محفوظ البنيانية

- الفصل الأول : في كتابة السير الذاتية .
- الفصل الثاني : في التأليف العلمي .
- الفصل الثالث : من كتابات الدكتور
نجيب محفوظ .

الفصل الاول

فى كتابة السيرة الذاتية

قد يكون (حياة طبيب) أول ترجمة ذاتية لواحد من أطبائنا فى العصر الحديث ، ولا جدال فى أن كتاب (حياة طبيب) هى أعظم ما ظهر من هذا النوع من الترجمات الذاتية للأطباء حتى الآن ولا تعود هذه العظمة الى عظمة المؤلف وعظمة حياته فحسب ، ولكنها تمتد الى الجانب الأدبى والبيانى فى الكتاب ، الذى استطاع نجيب محفوظ أن يجعل منه وسيلة ملائمة للتعبير عن حياة طويلة عريضة عميقة عظيمة .

كانت لنجيب محفوظ قدرة هائلة على الكتابة والتعبير ، وكانت هناك عوامل عديدة ساعدته فى الافادة من هذه القدرة :

أولا : قراءاته الواسعة فى الصغر التى اتاحتها له مكتبة والده الحافلة بما حوت من كتب وروايات على النحو الذى فصلنا فيه القول فى الباب الأول .

ثانياً : أن أبويه كانا يطلبان اليه أن يقرأ ، ويشرحان له ما خفى عليه من المعانى ، هنا ينبغي لنا أن نلتفت الى أهمية هذه الطريقة فى تنمية القدرة على التعبير (عموماً) وعلى الكتابة بوجه خاص حيث يتاح للمرء أن يفيد افادة غير مباشرة فى فهم العملية التعبيرية التى تحول المعانى المفهومة أو المطروقة الى عبارات لا تستعصى على الفهم .

ثالثاً : تربيته المدرسية حين كان فى المدارس فضل وقتنا يبذله الأساتذة فى تصحيح موضوعات الانشاء التى كتبها تلاميذهم ، ثم فى ارشادهم الى مواضع الخطأ والى الصواب وقد أتيح هذا لصاحبنا فى مدرسة الأمريكان وفى مدرسة المنصورة الابتدائية وفى مدرسة التوفيقية على نحو ما فصل هو فيه القول من مواقف طريفة ذكرها فى قصة حياته لعل أبرزها تقدير الشيخ حمزة فتح الله له العالم اللغوى الجليل وكان مفتشاً بالمعارف حيث كان طالباً ، وتقدير غيره من الأساتذة الذين لم يخلوا عليه بما يستحق .

رابعاً : ما استلزمته حياة الأستاذية منه من القدرة على التعبير والتأليف وكتابة البحوث الخ .

خامساً : الحياة الحافلة التى عاشها نجيب محفوظ ، والمواقف الصعبة التى مرت به ساعة بعد ساعة . ألا ترى أن بعض الخطوب تنطق من فقد القدرة على النطق .

واذن لم تكن فى كتابه (حياة طيب) صعوبة ولا مشقة
على كاتبه لو أنه أراد أن يكتب فيه حياة غير حياته ، أما أن يكتب
حياته هو فذلك كان مصدر المشقة من هنا فان المرء لا يسعه
الا أن يشير الى ثاقب فكر الأستاذ على أمين حين قال ان
عيب الكتاب الوحيد هو أن المؤلف قد اختصر أربعين سنة من
حياته فى بضعة سطور مع أنها جديرة بأن تحتل مئات الصفحات
ونحن معه أيضا فى تعليله حيث يقول : ولعل الحياء منعه من أن
يتحدث بأسهاب عن سنوات النجاح كما تحدث بالتفصيل عن
أيام الكفاح •

ولكن هل بعض الحياء من هذا العيب فى الكتاب • لا ،
ولكنه يجعلنا ننظر الى مثل هذا العيب نظرة احترام •

أما الأستاذ يحيى حقى فبدلنا على أن نجيب لم يستعمل فى
كتابه لهجة ، بل كان غاية فى الرقة والظرف والسماحة •• (ولهذا
فان كتابه كتاب تربوى •• لابد أن يقرأه كل شاب ليتعلم دروسا
نافعة فى الحياة) •

ولكن هل (حياة طيب) عمل ابداعى أم لا : ؟ هذا
يقودنا الى سؤال قد يكون بعيدا عن موضوعنا ، ولكنه قريب
منه كل القرب • فانتا لو أردنا أن نعطى الحكم فيه لقادنا الأمر
الى الاجابة عن سؤال أهم : هل الترجمات الذاتية أعمال
ابداعية أو لا ؟

ولعل الاجابة على مثل هذا السؤال تسير في اتجاهين :
المحور الأول ينفي عن الترجمات الذاتية صفة الابداع ما دامت
قد صورت الواقع الذى وقع كما وقع على أن التفكير الحديث
لم يعد يقبل مثل هذا المفهوم افهم الابداع ، ألا ترى أن
التفكير الحديث فى مثل هذه المسألة قد أقر الكاميرا فى يد
الفنان أداة لتصوير مشاعره تجاء واقعة كما هى أداة لتسجيل
هذا الواقع ! .

والمحور الثانى هو الى أى حد كان الابداع فى الكتابة عن
الذات ، وهنا يأتى نجيب محفوظ بكتابه (حياة طبيب) أروع
مثل على هذا الابداع فى الترجمات الذاتية .

وها نحن قد أصبحنا قرييين من موضوعنا كل القرب بالاجابة
عن هذا السؤال واذن « فحياة طبيب » من أدب الابداع ،
لامراء ، ولكن ما الفائدة ؟ هل يضيف هذا الى نجيب محفوظ
مجدا ؟ هل يتيح له الظفر بجائزة فى هذا الصدد ؟ هل هو عنصر
من عناصر يجب أن تكتمل فيه ليحتل مكانة معينة ؟ أظن أن هذا
كله ليس بالأمر المهم وانما الفائدة هنا تعود على أدب الابداع
حين ينتظم تحت لوائه أمثال هذه الأعمال العظيمة وليس من
حق أدب الابداع أن يتخلى عن ابن لا يشرفه فما بالك بالذى
يشرفه ؟

ولكن هل كان لنجيب محفوظ قبل هذا الكتاب شيء آخر في مجال الأدب ؟ يحدثنا نجيب محفوظ نفسه - أنه في مناسبات مختلفة بعد تخرجه من مدرسة الطب بسنين عدة - نظم شعرا عاميا من النوع المسمى « الزجل » قصد به تسلية أفراد عائلته أبان الحرب العالمية الأولى ويورد لنا نجيب محفوظ نموذجا من هذا الزجل الذي كتبه عندما ظهرت في سماء القاهرة المناطيد الألمانية (راجع ص ٤١ من كتابه) •

ولكن الى أى مدى كان البعد الذى وصل اليه الأدب التقليدى فى كتاب نجيب محفوظ (حياة طبيب) ؟ لاشك انك تجد فيه عبارة واضحة وأسلوبا سلسا ، ومنطقا دقيقا وفكرة عميقة ولكنك تجد فيه مع ذلك بعدا عن التكلف ، وخلوا من الحشو ، وصفاء من التعقيد وهل الأدب بعد ذلك الا ذلك ! نعم ما الأدب الا هذا النسيم •

بيد أن نجيب محفوظ أراد - أو نصح حين سأل النصيحة أن يضع بعض اللوحات التعبيرية الحافلة على طريقة أدباء العصور المتأخرة - فلم يمانع ولم يكتر فجاءت هذه اللوحات كما تجيء اللوحات الراقية حين توضع فى بعض الأماكن الراقية •

ولعل أمثلة هذه اللوحات ما تقرأ من بداية نجيب محفوظ كتابه يوصف مسقط رأسه (على الضفة الشرقية من فرع النيل

المسمى (فرع دمياط) وعلى بعد ستين كيلو مترا من مصبه تقوم مدينة المنصورة عروس الدلتا وعاصمة الدقهلية ومن مميزاتا على غيرها من العواصم أن وجهتها تستد على شاطئ - النيل بضعة كيلو مترات ، وتترامى عليها مصاييح وهاجة ، متى أضيئت جعلت المنظر فتنة للعيون ويظهر هذا الجمال على أتمه للقادمين ليلا بالقطار السريع حين يعبر الجسر الذى يصل بين المدينة وقرية طلخا المقابلة لها على الضفة الغربية للنيل) •

وكذلك الفقرة التى وصف فيها وفاة والده (راجع الكتاب) ، ولا يقتصر الأمر على اللوحات ولكن للتعبيرات أيضا نصيبا ، وقد يكون من ذلك تعبيره فى وصف فتاة أحلامه « كل من هو فى شرح شبابه وزهرة حياته يتخيل فتاة أحلامه على الصفة التى يشدها ، ويرى فيها مثله الأعلى وكذلك كان شأنى فقد كانت الزوجة التى أحلم بأن يرشدنى إليها ربى ، فتاة لها من الثقافة نصيب ، وللدين على نفسها سلطان ، أوتيت حظا من الجمال ووهبت عذوبة الحديث وهى الى جانب ذلك سليلة أسرة من كرائم الأسر •

وكذلك الفقرة التى يصور فيها فى المقدمة كيف جاءته الفكرة فى التأليف ؟ والآن وأنا أقضى جانبا من رحلتى الصيفية فى مدينة لوسرن طافت بمخيلتى ذكرى الأوقات الهائلة التى أمضيها على الشاطئ الجميل لبحيرة تلك المدينة نصفى الى تغريد

الاطيار ونستنشق النسيم الذى يهب محملا بأريج الأزهار
ونشاهد البجع منسابا فى جلال على صفحة الماء الزرقاء ، كانا
يتيه عجبا بما يسطع عليها من لؤلؤ أجنحته البيضاء » « هنالك
اختلج فى وجدانى حنين الى أن أدون ذكريات حياتى تليبة
لرغبتكم التى كاشفتمونى بها من قبل ، ولم أملك الا أن أخلو
الى نفسى ، أعرض ما سلف لى من أحداث وشجون ، والقلم
فى يدى يجرى بما تمليه الذاكرة . تارة وأنا جالس على مقعد
من تلك المقاعد المريحة المتناثرة على ضفاف البحيرة بين صفوف
الأشجار الظليلة يجتلى نظرى ما يشع من لازورد السماء ،
وما ينعكس من زمرد الغابات ، وطورا أطل من غابة الجوتش على
سلاسل من الجبال الشوامخ تتوج هاماتها ثلوج ناصعة كأنها
أكاليل الماس وأخرى دونها ارتفاعا تغطى قممها غابات باسقة
الشجر ، وتنحدر أوديتها المكسرة ببساط سندس نحو البحيرة
تداعب موج الشاطئ الخ » •

أما عن استشهد نجيب محفوظ بالشعر فى كتابه فقيما عدا
البيتين اللذين بلور فيهما أمنيته فى قصر العينى عند خروجه منه
وعند رجوعه اليه فاننا لا نجد للشعر مكانا بين سطور (حياة
طبيب) وقل ما استشهد محفوظ بمأثور القول ، ولعل سبب
ذلك أو تتيجه أن عباراته نفسها خرجت كأنها من صميم القول .
ولكن لماذا كتب نجيب محفوظ مذكراته ، يحدثنا الرجل

فيقول « انه كان ينوى أن تكون موقوفة على أسرته ، بناته وأزواجهن ، يرجعون اليها متى شاءوا ولكنهم أبوا أن يستأثروا بها ، وألحوا عليه في أن يحتويها كتاب ينشر على الناس » ولم يكن من السهل عليه أن يقتنع بذلك لايمانه بأن الحديث عن النفس لا يخلو من غضاضة ، ولا يسلم من الاطناب ولكنه مع الوقت « بأن لى أن من حق الشباب علينا التحدث اليهم بما صادفنى من عقبات ومصاعب ، وما أفدت من خبرة وتجرب ، وكيف كان مبلغ اعتصامى بالصبر والمثابرة ، وما كان لى من وقفات ازاء المشكلات فربما كان فيما أبسطه نفع لمن يصادفهم مثل ما صادفت اذ يأخذون أنفسهم بمواصلة السعى فى أداء الواجب نحو الله والوطن والانسانية لا يعوقهم اغفال أو سوء تقدير ، ولا تبطّرهم حظوة أو تشجيع ولكن يشقون طريقهم فى رضا واطمئنان » .

ويستطرد الدكتور نجيب محفوظ ليقول : ومما أغراني بالموافقة على نشر تلك المذكرات انى بدأت حياتى العملية فى حقبة لها أوثق الارتباط بتطور مدرسة الطب المصرية بل بتطور الطب نفسه وفيما جرى بين يدي من الأحداث بعض ما يلقي ضوءا على هذا التطور ويكشف معالمه ويبين وسائله وذلك يجعل من المذكرات عوناً لمن يبحثون ويؤرخون لتلك الحقبة الدقيقة فى تاريخنا المعاصر .

وهكذا يتضح لنا أن نجيب محفوظ هدف من مذكراته الى هدفين كبيرين :

الهدف الأول : هو إعطاء الشباب حقهم من الخبرة بحياة الآباء كيف كانت وممارستهم للحياة بما أحاط بها من أحوال وأسباب .

الهدف الثانى : هو تسجيل الأحداث التى صاحبت تطور مدرسة الطب المصرية .

فاذا نظرنا الى الناحية الكمية فى كتاب نجيب محفوظ وجدناه قد خصص ٥٦٪ من الكتاب لمناقشة مشواره الطبى فى الفصل الثامن (فى مدرسة الطب) والتاسع (فى مستشفى القصر العينى) والحادى عشر (نهاية الدراسة) والثانى عشر (شهور مع الكوليرا) والثالث عشر (عام فى مستشفى السويس) والرابع عشر (فى مكتب الصحة) والخامس عشر (فى ميدان العمل الحر) والتاسع عشر (فجر النهضة) والعشرين (انشاء مستشفى للولادة وقسم لرعاية الاطفال) والحادى والعشرين (متاعب يعرض لها المولودون) والثانى والعشرين (فى سبيل الحق) والثالث والعشرين (فى المؤتمر الدولى لأمراض المناطق الحارة) والخامس والعشرين (متحف أمراض النساء والولادة) والسادس والعشرين (كتابى « أطلس محفوظ ») والسابع والعشرين (الزمالة الفخرية للجمعية الطبية البريطانية) .

أما الهدف الأول فلم يفتأ نجيب محفوظ يعمل له في كل فصل وكل صفحة وكل فقرة من كتابه سواء في مجال مشواره في الحياة أو مشواره الطبي أو حتى رحلاته ألا تستمع اليه وهو يصف استعداداه للسفر الأول الى أوروبا فيحدث الشباب عن نهجه في التنظيم فيقول « ولكي أكون على بينة من المشاهد الهامة ، اشترت الكتب السياحية التي كان يصدرها (بدكير) ويضمنها معلومات وافية فيما يتعلق بالمتاحف والمستشفيات والفنادق والمواصلات فدرستها دراسة وافية حتى كدت أحفظ ما فيها عن ظهر قلب ثم اتصلت بشركة (كوك) للوقوف على نفقات السفر والاقامة فتبين لي أن المال الذي ادخرته فيه كفاية ، فنويت أن أجعل فترة الصباح لزيارة المستشفيات ، وما بعد الظهر لزيارة المتاحف وما اليها ، وساعات الهرة لارتياح المسرح وحددت مواعيدى يوما فيوما بل ساعة فساعة .

على أننا لو مضينا نبحت ونستخلص النصح والعبرة من كتاب نجيب محفوظ لأتينا عليه كله ، وهذا هو المعنى الذي عبر عنه عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين حين قال : « هذا الكتاب ممتع الى أقصى غايات الامتاع فيه ألوان من الفائدة لا تكاد تحصى ، فيه العبرة ، وفيه الموعظة ، وفيه أسوة للشباب ، فيه المتعة التي نجدها في كتاب عرف صاحبه كيف يكتبه ، لا تجد فيه تكلفا ، ولا تجد فيه اهمالا ولا مبالغة من

هذه المبالغات التي يتورط فيها كثير من الذين يتحدثون عن أنفسهم ، وهو سائق ميسر منذ ان تبدأ - قراءاته الى أن تفرغ منه « ويستطرد الدكتور طه حسين الى النقطة التي استطردنا منها الى كلامه فيقول : « وهو نفسه يعرف كيف يستخرج العبرة من حياته ، وكيف يجد مواضع الفطنة والتأمل بحيث تقرأ كتابه فتكاد تعتقد أنه لم يكتب لنا الا حديثه الخاص الى نفسه كأنه يستعرض في أوقات التأمل والتفكير حياته منذ الصبي الى أن تقدمت به السن وكان أداة - سحرية كانت تلحظه وهو يتأمل في حياته ويستعرضها فتسجل أحاديثه الى نفسه وتشرها بعد ذلك على الناس في هذا الكتاب » .

ولاشك ان هذا النصح وتلك الخبرة اللذين استغرقا كتاب نجيب محفوظ لم يكونا الا صورة من صور العمل بالمبدأ الذي أخذ به عالمنا نفسه منذ الصغر وجعله شعاره ووضعه في أول الكتاب عنوانا عليه : « ان لم تكن قد أعطيت الناس نفسك ، فانت لم تعطهم شيئا » .

الفصل الثانى

فى التأليف العلمى

كان انجاز الدكتور نجيب محفوظ فى هذا المجال من أروع الانجازات ، لم يدع مجالا من مجال تخصصه حتى كتب فيه على جميع المستويات للطبيب وللممرضة ، لليوم ولغد ، بالصورة وبالكلمة .

ولعل نجيب محفوظ قد لقى الجزاء الأوفى على هذا الجهد فى حياته وبعد مماته بما حققت مؤلفاته من ذىوع صيت ، وتقريظ وافر من علماء العالم أجمع ، وقبول واسع لدى الأجيال الجديدة .

على أن كل هذا كان نتيجة جهد جهيد لعله يفوق جهد محفوظ فى ممارساته الاكلينيكية ، ونتيجة تضحيات بالوقت وبالمال صدرت عن ايمان قوى بالفكرة عند محفوظ .

وسوف يرينا الباب الخامس من هذا الكتاب كل هذه

الجوانب على نحو تتضح معه الابعاد الحقيقية لجهد الرجل ،
وقيمة الآثار ، وتقدير المجتمعات العلمية للجهد والقيمة •

انما يريد هذا الفصل من هذا الباب من هذا الكتاب أن
يلقى بعض الضوء على أسلوب نجيب محفوظ في التأليف
العلمي ، وهو أسلوب سهل غاية السهولة ولكنه في الوقت ذاته
ممتع ، وهو ليس بالأسلوب الفريد من نوعه بل قد يكون هو
الأسلوب التقليدي عند العلماء المؤلفين ، ولكن في الابداع في
هذا الجانب فضل لا يقل عن فضل الابداع في الأعمال الأدبية •

وقد تفهم من أسلوب نجيب محفوظ في ترتيب كتاباته
العلمية على النحو الذي يبدأ فيه دائما بالمقدمات التاريخية
لموضوع بحثه أنه كان من أصحاب المنهج التقليدي ، وقد تفهم
من ذلك « غزارة علم ومادة فياضة » على حد تعبير الدكتور
محمود فاضل سليم ، ولكن الذي لاشك فيه أن في هذا الأسلوب
تعبيرا عن ايمان صاحبه بأهمية أن يعرف هو وأن يعرف كذلك
القارئون له والمتلقون عنه أين يضع هذا الجديد من تراث
الانسانية العلمي كله ! ولعل هذا ما يعطينا الدرس حين نذهب
فنبحث ونكتب وننشر ونظن أننا نأتى بجديد ونسبق الى أرض
بكر بينما الأمر أبعد ما يكون عن ذلك • ومع هذا تبقى لتلك
المقدمات التاريخية فائدتها المباشرة التي لخصها العالم الأمريكي
الدكتور جريد هل حين قال : « من الصفات المميزة لأبحاث

محفوظ أنها تبدأ دائما بفذلكة تاريخية فتشرح التطور التدريجي الذى اجتازه كل من عانى متاعب البحث فى المرض الذى يبحث فيه وتمطينا فكرة واضحة عن السير المتتابع المتلاحق فى التفكير الذى ينتهى فى آخر (الشوط) الى معلوماتنا الحاضرة » .

كان الدكتور نجيب محفوظ مشغوبا بالتاريخ بلا شك ولو لم يكن طبيبا ناجحا لكان مؤرخا ناجحا كذلك ، وكان نبوغه فى هذه الناحية انعكاسا لعقليته المرتبة واحساسه بالزمان احساس العلماء المقدرين لا احساس الهارين من حاضر أو من مستقبل ، وقد أدرك هذه القدرة فى الدكتور على ابراهيم فكان أن هيا لتاريخ التعليم الطبى فى مصر هذا السفر الذى كتبه نجيب محفوظ بتشجيع من الملك فؤاد ، ثم ان حياة طبيب فيه من التاريخ أكثر مما فيه عن الذات . وكان نجيب محفوظ حين يتناول المسائل العلمية يحرص على اسناد الفضل لأهله ولا ينى عن ذكر الاسماء ، فاذا ذهب ناحية السياسة والاجتماع والمثالب أو المواقف الخلقية التى لا تحسب لصاحبها أحجم عن ذكر الاسماء ، ومع أن هذا التقليد الخلقى يلاقى كثيرا من التقدير والأخذ به حتى اليوم ، فان كاتب هذه السطور أصبح يشك فى مدى تقديرنا للفرق بين مزاياه ومثاله . . ولعل مثاله قد أصبحت تفوق مزاياه ، وعلى سبيل المثال فان كثيرا من الوقائع التى أوردها الدكتور نجيب محفوظ فى كتابه حياة طبيب قد باتت تهدد كثيرا

من الاسماء فى تاريخنا الحديث والمعاصر فمن هو يا ترى رئيس الوزراء الذى جومل فى تعيين ابنه ؟ ومن هى الراقصة ؟ ومن هو الزميل ؟ .. الخ) . ولو أنصف الدكتور نجيب محفوظ لرفع السيف المصلت عن طائفة من رؤساء الوزارة بتحديد بعض صفات الشخص الذى عناء مثلاً فأبعد الظن السئ عنهم فى مجموعهم .. وبخاصة أنه لم تكن له تلك القدرة (الاحترافية) على اللف والدوران فى كتاباته ، والتصريح بما ملح الى أنه يخفيه ثم التلميح بأنه صرح بما ملح به .. وما شابه ذلك .

ومع أنى أحب أن أكرر قيمة فهم نجيب محفوظ للتاريخ ولتاريخ العلم فى فهم العلم والحياة الواسعة على نحو ما أسلفنا ، الا أن هذا لا يمنعنى ولا يمنع القارىء من أن نمضى مع أولئك الذين يجدون فى هذا الجانب من نجيب محفوظ دلالة على اطلاعه ، ودقة فهمه .. وما الى ذلك من أمور ينبغى بلاشك الاقرار بقدرها وقيمتها ، وقد يكون كل هذا مما يرفع شأن الرجل بلاشك ، ولكن الذى لاشك فيه أن فهمنا لفهمه لأهمية هذه الأمور التى تبدو عند البعض (علوما موازية) paramedical سوف يكون له أثر فى النظرة الى شخصيه متكاملة بالفعل فى تفكيرها .. ومع هذا فلتقرأ عبارات زميله الدكتور رشدى اسماعيل حين يقول :

« أما عنايته بأمر الطب القديم والطب عند العرب على وجه

أخص فهي دليل آخر على حبه للاطلاع واعجابه بما يستحق
الاعجاب من القديم والحديث . وله آراء قيمة في طب العرب
وما وصلوا اليه من أبحاث في بعض النواحي العلاجية
وما اهتموا اليه من عقاقير وأدوية فأشاد بفضلهم ونضج أبحاثهم
كما أنه أبرز أسماءهم وعرف الناس بمكائهم بكثرة ما تحدث
عنهم وأذاع بعض جهودهم .

وقد كتب تاريخ الطب في مصر فأثبت أنه العالم الواسع
الآفاق المدقق في أبحاثه ، الأمين في عمله - لقد رجع الى المصادر
الانجليزية والفرنسية والعربية وخلص منها بكتاب نفيس عن
تاريخ الطب من عهد الفراعنة الى الآن وزوده بالصور
والاحصاءات وأنصف فيه كل من يستحق الانصاف وأعطى كل
ذى حق حقه فكان مثالا للمؤرخ الصريح المنصف » .

الفصل الثالث

من آثار الدكتور نجيب محفوظ

(١) قصتي مع كلية الطب

كلمته في حفل تكريمه بفندق سميراميس (يونيو ١٩٥٠)

سيداتى وسادتى :

اننى أشعر بسرور فائق فى قيامى للرد على التحية الكريمة التى تكرم سعادة الرئيس بتوجيهها الى ، وأيضا على الكلمات الرقيقة التى تفضل حضرات زملائي وأصدقائي بكتابتها وقد نشرت فى المجموعة التى سترسل لحضراتكم قريبا والتى صاغوا لى فيها من المديح فوق ما أنا جدير به .

كما أنه يسعدنى حقا أن تهيأت لى الفرصة لأقدم خالص شكرى لحضرات أصدقائي الذين ساهموا فى تكوين رأس المال لجائزة تفضلوا باطلاق اسمى عليها ولحضرات الذين تكرموا بحضورهم الليلة . اننى أشعر حقا بعجزى عن أن أجد الكلمات التى أستطيع بها التعبير عما يجيش بصدري ويختلج فؤادى

من الشكر والتقدير لهم جميعا وانه ليسعدنى أن أرى بين الذين اجتمعوا الليلة صفوة من الرجال الذين أسدوا للبلاد خدمات جمة ، فان فى حضورهم معنى أسمى من مجرد اظهار تقديرهم لشخصى ألا وهو مساهمتهم فى تقدير العلم الذى أعد نفسى من أصغر جنوده . كما أنه يسعدنى بصفة خاصة أن أرى بين الحاضرين الليلة لفيفا مباركا من الجيل الجديد من تلامذتى وزملائى الذين تفتحت كفاآتهم أمام عيني فى السنين التى عملوا معى فيها كما تتفتح الورود الناضرة . وأن أشاهد هذه الأيدى التى حملت معنا وعنا بكفاءة ممتازة ، تلك الشعلة التى تشاء الأقدار أن تكلف بحملها شخصا أو أشخاصا جيلا بعد جيل .

حقا ان عجلة الدهر فى سيرها المتواصل غير المحسوس به تولد فى نفوس المشتغلين بالعلم ارتياحا نفسانيا وطمأنينة تتزايد مع مرور الزمن عندما يرون هذه الأيدى القوية تمتد راغبة من قلوبها فى أن تحمل على أكتافها نصيبها من هذه المسئولية الكبيرة .

ليس غريبا يا سادتى اذا قلت لكم ان قلبى يطفح سرورا عندما أرى هذه الطبقة الناشئة من الأطباء تتبوأ اليوم المكانة اللائقة بها وتسير فيها قدما ، لا للاحتفاظ بمركزها الحاضر

فحسب ، بل متطلعة الى اكتساب السمعة اللائقة بمصر وبجامعاتها العلمية ، فصاروا موضع تقدير العالم الطبي واحترامه •

ويزداد هذا الفرح عندما أرجع بالذاكرة الى اليوم الذى تخرجنا فيه من المدرسة ونزلنا الى كفاح العمل الخارجى وكيف وجدنا الجو مظلما مكفها لا أمل لنا فى وظائف الحكومة ، سواء فى مدرسة الطب أو فى المصالح الطبية ، حيث لم يكن يعين الطبيب المصرى الا فى أتفه الوظائف وأقلها شأنًا ، ولا فى العمل الخارجى حيث كاد العمل يكون مقصورا على الأطباء الأجانب • كان عصرا فقد فيه المصرى احترامه لبنى جنسه وضعف اعتقاده فى كفاءتهم ولم يكن يطمئن الا الى الطبيب الأجنبى مهما بعد مكانه أو ارتفع أجره •

وقد استوجبت هذه الحالة كفاحا مرا اشتركت فيه جمهرة من رجال الطب أطباء وصيادلة ومن خريجات مدرسة التمريض الذين رأوا فرضا عليهم أن يضعوا حدا لهذه الحالة السيئة ، وأن يستعيدوا ثقة رأى العام بالطبيب المصرى ووضعه فى المنزلة اللائقة به • ولم يكن جهادهم مقصورا على النشاط العلاجى فحسب ، بل تعداه الى ما هو أعظم شأنًا وأكثر خطورة وهو مركز الطبيب المصرى أمام العالم • فتأسست الجمعية الطبية الملكية وظهرت مجلتها التى لم تنقطع عن الظهور حتى فى أحلك أيام الحرب بفضل ما أظهره حضرة سكرتيرها العام العالم

الكبير الأستاذ خليل بك عبد الخالق من الهمة والنشاط ، ولا أرى حاجة بى الى تعداد ما قام به الأطباء المصريون من البحوث العلمية القيمة التى نشروها فى مجلتهم أو فى أمهات المجالات الأجنبية أو فى المؤتمرات التى عقدت فى مصر أو فى خارجها . وقد ساعد على بلوغ هذا النجاح استمرار تلك الثورة الفكرية التى سائرت الانقلاب السياسى منذ سنة ١٩١٩ والنهضة المتوثبة التى تغلغت فى نفوس المصريين منذ ذلك الحين فأبنت نباتا حسنا .

سيداتى وسادتى :

طلب منى كثير من أصدقائى أن أعطى صورة ولو موجزة للحالة التى كانت عليها مدرسة الطب عندما ساعدنى الحظ على الالتحاق بها كطبيب للتخدير بعد مرور عام على تخرجى ، فلم أر بدا من النزول على رغبتهم .

كانت مدرسة الطب فى ذلك الحين قد دخلت فى دور نشاط جدى تناول الطلبة وأساتذتهم ، فأخذت روح جديدة تدب فى مرافقها المتعددة . ففى المستشفى كانت أقسام الجراحة والأمراض الباطنية والرمم عامرة بالمرضى يتولى العمل فيها أطباء أفذاذ مثل مادن وعلى بك ليب وملتون وفيشر وساندويث وطلعت باشا وفليس وترايب وعلى بك حيدر وفرنسيس باديربك ويومى بك

فتحى الذين شاءت العناية الآلهية أن يكونوا معلمينا ومرشديننا
فى ذلك العهد •

وكانت أقسام الباثولوجيا والتشريح والطفيليات والطب
الشرعى تفخر بمن تولوا العمل فيها أمثال سيمرس ولوس
وولسون واليوت سميث وسدنى سميث وبيتر وشمث ومحمد
ناشد بك وعلى بك مراد •

أما قسما الولادة وأمراض النساء فلم يكن لهما وجود
ألبتة فقد فشلت كل المحاولات التى بذلت فى عهود مختلفة
لافتتاح عيادة وأمراض النساء لعدم اقبال المريضات فعن لى أن
أتقدم للدكتور كيتنج بطلب كان يبدو فى أول الأمر غريبا جدا ،
وجريئا ، وكان من المنتظر أن يكون نصيبه الرفض ، لولا أن عززه
وتولى الدفاع عنه أستاذى ملتون ومادن ، ذلك انى أردت
أن يسمح لى بافتتاح عيادة خارجية وأمراض النساء بقصر العينى
أتولى العمل فيها بين الساعة الثامنة والتاسعة صباحا • وبعد
تردد كبير صدر الأمر بافتتاح هذه العيادة ولكنى لم أكد
أبدأ العمل فيها حتى تبين لى عجزى ، وصادفتنى صعوبات كادت
أن تفت فى عضدى ، فشعرت بجلال المسئولية التى أخذتها على
عاتقى وأنا شاب لم أكد أتجاوز العشرين من عمرى تعوزنى
التجارب والخبرة ولم أصل بعد الى درجة مرضية من النضج •
ومما زاد هذه المسئولية خطورة أنه بعد بضعة أشهر من افتتاح

العيادة الخارجية كلفت بتدريس الولادة وأمراض النساء
بمدرسة الممرضات ، وبإعطاء محاضرات اكلينيكية للطلبة ، ولم
يكن بالمستشفى حوامل ولا مريضات بأمراض نسائية تمكنني
من تمرين الطلبة والطالبات . كما أنه لم يكن بمدرسة التمريض
كتب للتدريس باللغة العربية ، وكان الاعتماد قبلا على ملخصات
مطبوعة على البالوغة طال عليها القدم ، وحرفت في النقل تحريفا
شنيعا حتى أصبحت خليطا من الجمل لا ارتباط بين بعضها
والبعض الآخر ، وفوق كل ذلك كان المتحف الباثولوجي
بالمدرسة خاليا تماما من النماذج الخاصة بالحمل والولادة
وأمراض النساء وهي عماد المدرس فيما يليقه على الطلبة في
أثناء المحاضرات . فرأيت لزما على أن أذلل هذه الصعوبات
بنفسي فمرت على فترة من الزمن بدأ فيها اليأس يدب الى
نفسي . ولكن العناية الالهية أدركتني ومدت الي يد المساعدة
فوضعت كتابا في الولادة وآخر في أمراض النساء وآخر في
أمراض النساء العملية ، واضطرت الى طبعها على نفقتي لأن
ميزانية المستشفى كانت في ذلك العهد ضئيلة ولا رصيد بها
للمطبوعات . وعمدت منذ أول عهدي بالعمل الى تحضير نماذج
طبية من متحصلات عملي في قصر العيني وخارجه ، وكنت
أقوم بتحضيرها بنفسي في عيادتي الخصوصية وأستحضرها معي
للتدريس عليها .

وبعد سنوات قليلة أتممت تحضير ٣٥٠ نموذجا كانت هي النواة التي بنيت عليها أنا وزملائي بقسم أمراض النساء المتحف الذي أهديته الى الكلية بعد ذلك . وقد وافق تاريخ اهداء هذا المتحف للمدرسة تعيين الدكتور بولجاكوف أمينا للمتحف . وقد أظهر بولجاكوف من الكفاءة في مساعدتي في تحضير النماذج الجديدة وترتيبها ما أذكره له بالشكر الجزيل . ولا أنسى المعاونة القيمة الممتازة التي قدمها الى زميلي وصديقي الأستاذ سرور بك في تحضير ١٥٠٠ شريحة مكروسكوبية وشرحها شرحا وافيا ، كما أذكر بالشكر المساعدة القيمة التي أظهرها حضرة صديقي وزميلي مصطفى بك عمر في تحضير أكثر من ٧٠٠ شريحة للفانوس السحري .

سيداتى وساداتى :

كان عدد المريضات اللاتي يحضرن للعيادة الخارجية في بدء انشائها قليلا ولكنه أخذ في الازدياد بسرعة حتى بلغ بعد سنتين أكثر من ١٥٠٠ مريضة جديدة في السنة . وكان هذا الاقبال المتزايد سببا في تخصيص عشرة أسرة بالمستشفى لأمراض النساء كنت أتولى العمل بها تحت اشراف الأستاذين مادن وملتون وبلغ عدد الجراحات التي اجريت في السنة الثانية ١٦٠ جراحة ، وصار من الممكن الآن تمرين الطلبة والطالبات في الأمراض النسائية الى حد ما . ولكن مشكلة تمرين الطلبة على التوليد ، ومشكلة

رفع مستوى توليد الفقيرات في منازلهن بوساطة طبقة متعلمة من الحكيمات والطلبة لضمان القضاء على حمى النفاس ، فلم تحل بصفة مرضية ، الا عندما وفقت بعد بضع سنوات الى افتتاح قسم للتوليد الخارجى ولرعاية الحوامل قبل الوضع وبعده .

وفي نهاية السنة الثانية لالتحاقى بمدرسة الطب كتبت تقريراً عن العمل ساعدنى فيه المستر مادن ونشرت خلاصته مجلة اللانست فى عددها الصادر فى أغسطس سنة ١٩٠٦ ونقلته عنها المجلات الأخرى . واتصل علم هذا التقرير بالدكتور كيتنج فاستدعانى لمكتبه وصافحنى بحرارة وهنأنى على نجاح العمل . وكم كانت دهشته عظيمة عندما أخبرته بعد شكرى له ، أنى أعتبر هذا النجاح أعرج لأنى أحرزته بتطبيق المبادئ التى تعلمتها من الجراحة على أمراض النساء ولكن ينقصه الشئ الكثير من الفن الذى جعل من الولادة علماً قائماً بذاته . واقترحت حلاً لذلك اما ارسالى الى بعثة أو استدعاء خير فى الولادة يعين رئيساً للقسم وأعين أنا مساعداً له . فبعد أخذ ورد كثيرين عرض الأمر على مجلس المدرسة فوافق على استدعاء الدكتور روى دوين وكان مساعد رئيس مستشفى الروتندا . ومن حسن حظ المدرسة أن قبل الأستاذ دوين ما عرض عليه وعين رئيساً لقسم الولادة . وقد أظهر دوين كفاءة ممتازة وإخلاصاً فى العمل .

ويسرنى أن أعلن الليلة أنى مدين له دينا لا يوفى •

وبعد بضعة أعوام انضم إلينا صديقى وزميلى الأستاذ أحمد باشا شفيق فتضافرنا على العمل وجاهد ثلاثتنا ايما جهاد حتى استطعنا أن نصل بالقسم الى حالته الحاضرة • ثم أخذنا فى اعداد جيل جديد فكنا جد موفقين فى اختيار من ستلقى اليهم أعنة القيادة من بعدنا فعمر القسم بمجموعة من الأطباء تفخر بها أى كلية فى العالم • وقد سرنا فى العمل (معا) كبيرنا وصغيرنا بروح الود والوئام التى كانت أكبر عضد لنا على بلوغ النجاح •

بقى على واجب هو من أحب الواجبات الى وأقربها الى قلبى ألا وهو واجب الشكر • أبدأه بالشكر لله عز وجل الذى ملا قلوبنا طمأنينة على مستقبل كلية الطب فقد كان من فضله وكرمه أن هيا لها بعد انتقال قيادها الى أيدي المصريين مجموعة مباركة من العمداء الذين عمرت قلوبهم بحب مصر ، بدأت بفقيد الطب الراحل على باشا ابراهيم صاحب الفضل الأكبر فى اقناع الحكومة ببناء مستشفى فؤاد الأول •

وجاء بعده العالم الجليل الأستاذ سليمان باشا عزمى الذى أنشأ بالكلية معهد الأمراض المتوطنة ، واليه يرجع الفضل فى تهيئة الجو لقصر التمرىض على المرضات دون المرضى ، كما أنه استطاع بعد جهود موفقة (الى) جمع مائة ألف جنيه

بالاكتتاب العام ليوم المستشفيات خصص ريعها لمستلزمات العلاج
التي لا تستطيع المستشفيات صرفها للفقراء . وقد تلاه في العيادة
الأستاذ ابراهيم شوقي باشا . وكانت شهرة ابراهيم شوقي باشا
أثناء وكالته لكلية الطب وادارته لمستشفى الأطفال وفي عيادة
رعاية الطفل التي كان له الفضل في انشائها بقصر العيني قد
أصبحت حديث الزائرين الذين تستقدمهم الجامعة لفحص مستوى
التعليم حيث وصفوها بأنها ادارة حازمة موفقة يصح أن تكون
مثالا يحتذى ، وقد ترك شوقي باشا بكلية الطب من آثار جهوده
ما رفع شأنها وزاد من قدرها ، اذ بذل مجهودا جبارا في رفع
مستوى الأطباء المشتغلين بالأقسام البحتة وأنشأ لجنة للبحث
العلمي عملت على تنسيق العمل في البحوث العلمية بين أقسام
الكلية ، وخصص لها عنبرا بالمستشفى يسع ٢٠ سريرا . وقد
حل بذلك المشكلة الكبرى التي كانت تقف عائقا في سبيل
البحوث العلمية . كما أنه صمم على أن ينفذ النظام الذي
بمقتضاه يكون الرقي الى الدرجات العليا مرهونا بما يقدم
الطبيب من البحوث العلمية ، واستطاع أن يحصل من الحكومة
على ٦٠٠٠٠٠ جنيه لاتمام مباني مستشفى فؤاد الأول . وقد
تم في عهده بناء بعض الأقسام وترك لخلفه العالم الكبير الأستاذ
مصطفى بك فهمى سرور اتمام البقية .

أما سرور بك فقد أظهر في مدة عمادته للكلية الشيء الكثير
من الكفاءة واللباقة التي كانت حديث الكلية كلها ، كما أنه

كان عهدا رفع فيه شأن البحث العلمى ونشرت كثير من البحوث الهامة . ولما انتهت مدة عمادة سرور بك أجمع مجلس الكلية على السعى لاقتناع العالم الكبير جراح مصر العظيم الذى أجمعت البلاد على حبه واحترامه عبد الوهاب باشا مورو أن يقبل عمادة الكلية فقبل . ولم يكد يتولى قيادتها حتى استولى على قلوب أساتذتها فنال ثقتهم الغالية ، وعلى قلوب الطلبة فنال احترامهم القلبي وتقديرهم . وأنشأ جوا من التعاون بين الطلبة وأساتذتهم كان ينقص الكلية ، كما أنه ينقص كل المعاهد العلمية بمصر بشكل ظاهر . وهذا الجو هو فى نظرى أكبر كفيل للسير بالكلية فى مدارج الرقى اللائق بماضيها المجيد وحاضرها العظيم، وهو الكفيل أيضا باخراج جيل قادر على صيانة هذا التراث العظيم والعمل على زيادته . وقد وضع مورو باشا فى مقدمة برنامجه الاصلاحى تسهيل وسائل البحث العلمى على الذين يرغبون فيه ، وتزويد المعامل بكل ما وصل اليه الاكتشاف العلمى ولاشك فى أن هذا التجديد هو حجر الأساس فى كل عمل منتج . وأخذ مورو باشا فى تنفيذ برنامج من المباني التى تنقص الكلية ، ستصير بعد اتمامها معهدا من أكبر المعاهد العلمية . وكلنا على ثقة بأن الكلية فى عهده ستبلغ أعلى درجات الرقى وأسمى مراتب الشرف .

ويسرنى أن أتهنز هذه الفرصة فأوجه الشكر الى زملائى

وزميلاتي وتلاميذتي وتلميذاتي والى المرضات ورئيساتهن والى
الحكيمات اثلاثي عاونوني مدة عملى بكلية الطب . الى هؤلاء
الجنود المخلصين الذين كانوا ساعدى الأيمن (والأيسر أيضا)
وهياؤا لى الفرصة لأن أقوم بالجهود التى قمت بها . ان لهم
حقا أن يفخروا بالعمل المجيد الذى قاموا به . كما أوجه جزيل
الشكر الى اللجنة التى أقامت هذا الحفل . أشكر سعادة
رئيسها وسعادة أمين صندوقها وحضرات أعضائها وسكرتيرها
النشط المخلص الذى لم يأل جهدا فى تنفيذ القرارات التى
اقترحتها اللجنة ، كما أنى أقدم أوفر الشكر لسعادة عميد
الكلية ومجلس الجامعة الموقرين على القرارات السخية التى
تفضلوا بإصدارها والتى طوقتني بجميل لا أنساه سأذكره بالثناء
ما دمت حيا .

وفى ختام كلامى أقدم أوفر الشكر لكلية الطب التى أدين
لها بالفضل الجزيل على ما طوقتني به من جميل ، طالبا وطيبا
وأستاذا ووكيلا ، راجيا لها مستقبلا حافلا بالمجد فى ظل حضرة
صاحب الجلالة راعى العلم مليكنا المعظم الذى من روحه الوثابة
تسرى إلينا روح التقدم والنشاط والتجديد فى ميادين العمل
طالبا من المولى عز وجل أن يديمه للعلم ذخرا ولمصر والشرق
قائدا ومرشدا وملاذا وأن يقر عينيه بأتمته كما قررت به عينا
واطمأنت خاطرا .

(٢) كلمته في الاحتفال بعيد العلم (١٩٦٠)

سيدي الرئيس :

انى أشعر حقا بعجزى عن أن أجد الكلمات التى أستطيع بها التعبير عما يجيش بصدري ، من الشكر لسيادتكم على الشرف الذى أسبغته على اليوم ، وأؤكد لكم أن تسلمى الجائزة من يديك الكريمتين جعل هذه اللحظة من أسعد اللحظات فى حياتى •

وأرجو يا سيدى أن تأذن لى بهذه المناسبة ، أن أقدم أخلص الشكر ، الى السيد الجليل نصير العلم كمال الدين حسين رئيس المجلس الأعلى للعلوم ، والسادة أعضاء المجلس ، ومديرى وأعضاء مجالس ادارة جامعة القاهرة ، والاتحاد العلمى العربى ، وكلية طب القاهرة ، الذين أتاحوا لى فرصة تلقى هذا الشرف من يديك الكريمتين •

سيدي الرئيس :

ان عيد العلم الذى نحتفل به كل عام هو يوم من الأيام الخالدة فى تاريخ الجمهورية • فهو السجل الحى الذى يظهر مدى النشاط العلمى الذى يقوم به خدام العلم • لقد أتى زمن تخلفت فيه بلادنا عن ركب المدنية الى حين • وهى البلاد التى استطاعت ، فى فجر التاريخ ، أن تحمل وحدها شعلة العلم

والمدينة ، وأن تبقىها موقدة آلاف السنين ، تنقلها الى الأجيال المتعاقبة ، تراثا ، متطورا ، من جيل الى جيل . ثم أتى زمن تعاقبت عليها فيه الأحداث ، والثورات ، والغزوات العاشمة ، فسقطت الشعلة من يديها ، فتلقفها اليونان ، ثم الرومان . ولكن أسس العلم ، ظلت كامنة في نفوس الكهنة المصريين ، حتى اذا استقلت البلاد تحت حكم بطليموس ، تأسست مدرسة الاسكندرية ، وصارت مركز العلم الوحيد في العالم كله . وكان أساتذتها ، وخريجوها ، رجالا مشهورين مثل أرشميدس ، واقليدس ، وجالينوس ، أشهر أطباء العهد القديم على الإطلاق . وهو الذى وضع أسس الطب على قواعد علمية متينة خالية من الخرافات . وكان أجل ما يفخر به هذا العالم الفذ ، أنه تلقى العلم ، تحت أقدام الكهنة المصريين . وقد بقيت مدرسة الاسكندرية ، لعدة قرون ، مركز الطب والثقافة . وكانت لاتزال زاهرة ابان الفتح العربى . وفيها تخرج يوحنا الجراماتيقي ، وهو أسقف مصرى كتب كتباً رائعة وامتد به الأجل حتى الفتح العربى . وكان العرب يسمونه يحيى النحوى . وكان من أقرب المقربين الى عمرو بن العاص . ويقول عنه ابن أبى أصيعة ان تعاليمه كانت أول وأغنى مصادر الطب عن العرب . ولما انتهى العرب من فتح الممالك المجاورة ، وثبتوا قواعد الدولة ، أخذوا فى ترجمة المؤلفات اليونانية وغيرها الى اللغة العربية . وكان القرن الأول فى تاريخ العباسيين فريدا فى التاريخ . فلم يأت

آخره حتى كان العرب مالكين لجميع العلوم المعروفة ، من يونانية ، وفارسية ، وهندية . ولا يتسع المجال لذكر الذين تفوقوا في عهد النهضة العربية ، ومما يحسن ذكره أن العرب منذ بدء نهضتهم اتفَعُوا بالكفاءات أنى وجدوها ، فاحتضنوا العلماء مهما اختلفت عناصرهم ، وضسّوهم الى صفوفهم وجعلوا منهم مواطنين ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم . ولما دبت عوامل التفرقة في صفوف العرب انتقلت شعلة العلم الى أوربا واحتفظت بها أمسها ورفعوا راية العلم عالية الى اليوم . وقد وضعت سيادتكم اصبعكم على موطن الخطر ، اذا تركت الأمم القوية تحتكر العلم . فعملتم على نصرته ، وجعلتم من جامعاتنا قلاعاً نحارب منها في معارك العلم .

ولا حاجة بي الى ذكر ما قام به المصريون في العصر الحديث من البحوث القيمة ، التي نشروها في أمهات المجلات الأجنبية ، أو في المؤتمرات التي عقدت في مصر أو خارجها ، أو من الكتب القيمة التي كتبوها وترجمت الى لغات متعددة ، وحازت تقدير العالم العلمى . ولا أرى مناصاً من القول بأن مما ساعد على بلوغ هذا النجاح ، هو النهضة المتوثبة التي تغلّغت في نفوس المصريين ، ورغبتهم الأكيدة في أن يكون لهم نصيب في حمل شعلة العلم .

سیدی رئیس :

ان جل ما اطلبه من المولى عز وجل هو ان يجعل جهادكم
في سبيل البلاد وجهودكم في سبيل العلم مقرونة بالنجاح
والتوفيق .

(٣) موضوع من موضوعات الانشاء التي كتبها

نجيب محفوظ في عهد التلمذة

« الناس رجلان رجل يرى الخيرات مباحة للجميع وعنوان
كل مطلب ، من جد وجد فيسعى ويجد ويشمر عن ساعد الجد
فيصبح وقد انفتحت لديه كنوز الفلاح وانكشفت أمام عينيه
اسرار النجاح فيدأب على العمل بهمه لا تعرف الملل وعزيمة
لا يضعفها الفشل قائلاً مع من قال :

فدري انل ما لا ينال من العلى

فصعب العلى في الصعب والسهل في السهل

ترسدن ادراك المصالى رخيصة

ولابد دون الشهد من ابر النحل

وآخر يرى بينه وبين الخيرات بونا عظيما فيقفل راجعا
عن طلبها وينقلب متقهقرا عن طرق بابها فيصبح وقد غدت لديه
وجوه النفع مردودة وأبواب السداد مسدودة .

واذا سألته عن علة تأخره وسبب تقهقره أجابك أن الله

يرزق الانسان بالخيرات عفوا من دون أن يسعى اليها سعيا
حيثا ولكن ألم يعلم أن من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير
وأن المرء مكلف شرعا بأن لا يقعد عن اكتساب العلى • أجل •
ولكنه لم يعرف أن بالعمل تدرك الآمال وبقدر الجد تكتسب
المعالى ولم يصنع الى قول الشاعر :

لا تحسب المجد تمرا انت آكله

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

فاعتبر أيها المتهامل بمن يواصلون العمل بهمة لا تعرف
الملل هل زلت بهم الأقدام أم أسفوا على الاقدام أم ندموا كما
يندم المتهاملون أم تأوهوا كما يتأوه المتكاسلون كلا سوف
يتتهجون ثم كلا سوف يتتهجون وسيعلم المتكاسلون أى منقلب
ينقلبون » •

امضاء الأستاذ وتعليقه :

« شئ كنت أنتظره منك »

« وقد حقق الله ظنى فيك »

« ولكل اسم من مسماه نصيب »

محمد حامد

الباب الخامس

آثار نجيب محفوظ العلمية

لاشك أن علماء النساء الذين تتلمذوا على محفوظ باشا هم أبرز الآثار الحية من آثاره العلمية ومع هذا فان نجيب محفوظ لم يكتف بان يكون أستاذا فحسب ، ولكنه ترك آثارا يتلمذ عليها من لم يدركوه •

وسوف نتحدث في هذا الباب عن ثلاثة انجازات لـ محفوظ باشا هي أطلسه ومتحفه ومراجعته •

فأما الأطلس فبوسعك أن تقول انه نتاج خمس وأربعين سنة في ممارسة وتدريس هذين الفنين ، ويقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء من الحجم الكبير وبلغت صفحاته ١٥٠٠ صفحة وصوره ٧٢٣ صورة معظمها بالألوان مأخوذة كلها من متحفه ومن القطاعات المكرسكوية التي أخذت من العينات •

وقبل أن يقدم الدكتور محفوظ باشا على طبع هذا الكتاب رأى من الحكمة أن يستوثق من نفع الكتاب وأن يطلب رأيا محايدا فطلب من السير كومنز باركلي وهو يومها من أساطين أساتذة أمراض النساء والولادة في العالم أن يقرأ أصول الكتاب

ويفحص صورته ويبدى رأيه فيه بلا مجاملة ولا محاباة وقد قام
سير كومنز بهذا العمل وأرسل الى الدكتور محفوظ باشا خطابا
جاء فيه :

« تسألنى رأيا صريحا لا مجاملة فيه ولا محاباة عن كتابكم
الذى تنوون نشره ، وها أنا أبدى رأى فيه • وهذا الرأى
يشمل اعتبارات ثلاثة وهى :

- ١ - النفع العلمى •
- ٢ - حاجة العالم اليه •
- ٣ - المسألة المادية •

أولا : أرى أن الكتاب كأداة تنقل الى العالم معلومات قيمة
عن الولادة وأمراض النساء هو كتاب فذ مدهش وأقول بصراحة
انه لم يظهر فى كتب الولادة وأمراض النساء مثيل يعادله الى
اليوم ، وهى كلمة أقولها بمنتهى الصراحة •

ثانيا : ان هذا الكتاب لا يصلح لحصول القارىء على
معلومات طريفة فى هذين الفنين فحسب ولكنه سيكون أداة
كبيرة فى يد المعلمين لتلقين الطلبة هذين العلمين وسيبقى هذا
الكتاب دائما من الكتب الخالدة •

ثالثا : من الوجهة المادية أرى ان كتابا من هذا النوع
ستبلغ تكاليفه حدا باهظا لا ينتظر أن تغطيه مبيعات نسخه •

فالكتب التى من هذا النوع تقوم بها المعاهد والجامعات لا الأفراد . ولكنى أرى أنك كطبيب عالمى له شهرة كبيرة فى كل مملكة من ممالك العالم يهيك أن يقرن اسمك بعمل مجيد كهذا سواء أدى الى كسب مادى أو الى خسارة مهما بلغت ، ثم ان نشر هذا الكتاب سيكون لانزاع سببا فى شهرة عظيمة تنالها بلادك وجامعتك ، وأظنك لا تتأخر فى أن تضع على هامة جامعتك التى هى أمك الروحية أكليلا من المجد » .

وقد حفز هذا الخطاب الدكتور محفوظ باشا الى طبع الكتاب على ثقته الخاصة غير مدخر مالا فى اصداره على اكمل وجه ، وحتى يعم نفعه فى جميع أنحاء العالم وكدعاية لبلاده رأى الدكتور محفوظ باشا أن تكون جميع الشروح المكتوبة تحت الصور بجميع اللغات الحية وقد كتب تلك الشروح بسبع لغات هى : العربية والانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والاطالية والأسبانية .

وهذه بعض آراء علماء النساء فى أطلس محفوظ :

١ - فى خطاب بتاريخ ١٢ يونيو سنة ١٩٤٩ كتب السير أردلى هولاند Eardley Holland رئيس كلية أطباء النساء والمولدين بالمملكة المتحدة ما يأتى :

اننى فخور بحصولى على الجزء الأول من كتابك العظيم Magnum Opus وقد قرأت كل صفحة من صفحاته ودرست

بعناية كل شكل من أشكاله وقد كان اعجابى به يتزايد كلما توغلت فى قراءته حتى بلغ حدود الاعجاب - ان كتابك بدون شك أعظم كتاب ظهر فى أمراض النساء والولادة الى اليوم ويفوق بمراحل أى كتاب ظهر فى المملكة البريطانية أو الألمانية أو فى الولايات المتحدة بأميركا وانه أثر خالد لحياتك المليئة بالأبحاث العلمية الفذة والتعمق العلمى . وفى كتابك هذا يتمثل الفن الراقى والعلم المتين والثقافة العلمية . انه قد أعاد الى ذاكرتى الأيام السعيدة التى أمضيتها فى دراسة النماذج بمتحفك عديم النظير بالقاهرة . ان هذا الكتاب سيزيد شهرتك العالمية ويرفع شأن كلية الطب بمصر فى العالم أجمع » .

وكتب السير أردلى هولاند عن الجزء الثانى فى خطاب آخر :

« انى ملئ عجا بالجزء الثانى وأعتبره فى بعض النواحي أشد ايثارا للاعجاب من الجزء الأول ولعل ذلك لاحتوائه على الأبحاث الفذة التى أنالتك الشهرة العالمية الكبيرة مثل النواسير البولية والثفلية والبلهارسيا والأورام الليفية والحمل خارج الرحم . ان أى جراح فى العالم يقرأ هذه الفصول لا بد أن يشعر بأن معلوماته عنها قد ازدادت وأن معضلاتها قد حلت ولا بد أن يتأثر أسلوبه الجراحى فى العمليات التى شرحتها تأثيرا كبيرا . أما الأشكال التى فى الكتاب فلم تقع عيني على مثلها

قبل اليوم ولا على مثل الوصف الذى تلحقه بها والبحث الذى
تخص كل صورة به •

٢ - وجاء فى خطاب من لورد الفردوب جونسون
Lord Alfred Webb Johnson رئيس كلية الجراحين الملكية
بلوندره فى ٣ يونيو سنة ١٩٤٩ عن الجزء الأول ما يأتى :

« ان العمل العظيم الذى قمت به بوضعك هذا المؤلف
كتب له الخلود منذ اليوم • وسيكون هذا الكتاب سببا فى أن
تطريك الأجيال المقبلة أيما اطراء وسيبقى لأجيال عديدة أهم
مرجع فى الولادة وأمراض النساء • اننى عندما تصفحت الجزء
الأول من كتابك ودرسته بعناية كان يخل الى أننى جالس اليك
تحدث معا وقد أثارت قراءته فى نفسى اعجابا للسنين الطويلة
التي صرفتها فى الدرس والعمل حتى حصلت على الخبرة التي
مكنتك من الاضطلاع بهذا العمل العظيم •

وفى خطاب آخر أرسل فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٩ - بعد
ظهور المجلد الثانى قال الأستاذ جونسون :

« ان المجلد الثانى من موسوعتك العلمية آية فى الفن
وتستطيع اليوم أن تقول ما قاله المهندس المعمارى الانجليزى
الكبير المستر رين عندما أخذ فى بناء كاتدرائية سان بول
« اننى أبنى للأبدية والخلود » •

لقد جعلت العالم الطبى بتمامه جراحيه وأطباء أمراض
النساء فيه مدينين لك دينا لا يستطيعون وفاءه » .

٣ - وفى خطاب من السير فلتشرشو عميد كلية المولدين
سابقا :

« أخبرنى ناشرو كتابك أنهم باعوا من نسخه عددا هائلا
ويسرنى أن مجلات أمريكا المهمة قد قرظته تقريظا مدهشا
وقريبا جدا يصدر المجلد الثالث .

واذا كان هذا المجلد فى درجة المجلدين السابقين وهو
ما لاشك فيه ، فإن كتابك هذا سيكون أثرا خالدا يشهد
بتفانيك فى خدمة العلم الذى جعل لك شهرة عالمية ملأت
الآفاق » .

٤ - وفى خطاب بتاريخ ١٩٤٩/٧/٩ من المستر
فيكتور بونى (Victor Bonney) « ان كتابك عظيم وسيكون
عميم الفائدة وسيبقى أثرا خالدا لعملك ، انه اتاج فذ
لا يستطيع أحد أن ينافسك فى مضماره » .

٥ - وفى خطاب بتاريخ ٥ يونيو سنة ١٩٤٩ من دكتور
جرينهل Dr. Greenhill مؤلفات كتاب Year Book
« انى أهنتك على هذا الكتاب الهائل انه ملئ بالآراء

الناضجة وسيكون نجاحه كبيرا أما أسلوبه فجميل واضح وصوره
غاية في الاتقان الفني » .

٦ - وفي خطاب من الأستاذ يونج Prof. J. Young بتاريخ ٢٤ يونيو ١٩٤٩ : « أهنتك قلبيا ان الكتاب
Most Outstanding & Sumptuous فخم وفي
أقصى درجات الامتياز » .

٧ - ونشرت مجلة نيتشر «Nature» ١٧ سبتمبر
سنة ١٩٤٩ تقریظا للكتاب جاء فيه أ

« هذا هو الجزء الأول من الموسوعة العلمية التي أصدرها
محفوظ باشا والتي أصبحت بحق أهم ما كتب في الولادة وأمراض
النساء الى اليوم .

والمؤلف من أكبر الأطباء الذين خدموا فن الولادة وأمراض
النساء بأبحاثهم العلمية الفذة التي أدت الى تقدم حقيقي في
هذين الفنين . وهو ذو مقدرة فائقة في الجراحة وله شهرة عالمية
كبرى وقد كتب المتن باللغة الانجليزية . أما الشروح التي
كتبت للصورة فمكتوبة بسبع لغات . وليس هذا الكتاب
مجموعة لما كتبه الغير ، ولكنه يشرح آراء المؤلف
المبنية على الخبرة الواسعة وهو مكتوب بلغة سلسلة
منطقية تساعد أساتذة الولادة في محاضراتهم والطلبة في

دراستهم وأرى أنه يتحتم على كل أستاذ من أساتذة أمراض النساء أن يحصل على نسخة من هذا الكتاب .

٨ - وقال الأستاذ نكسون بعد أن حلل طريقة تأليف الكتاب وعرض الحالات فيه : « ويعد هذا الكتاب مرجعا لعلمى الولادة وأمراض النساء وسيظل بمثابة نصب تذكارى لشخص يعتبر من أبرز الاختصاصيين فى أمراض النساء فى العالم » .

أما متحف محفوظ ، وهو العمل الثانى ، فشئ لايزال له سحره الى اليوم ، وعلى خلاف الحقيقة القائلة أن المؤلفات العلمية تقل قيمتها مع الزمن ، فإن متحف محفوظ لايزال بعد المتحف الأول من نوعه فى العالم ، والجهد الدءوب الذى بذله فيه عالمنا طيلة السنوات الطوال لم يذهب ولا حتى بعضه القليل أدراج الرياح ، انما هو قائم يدل دلالة أخرى على الخلود كيف يتاح للأعمال التى لم يبخل عليها صاحبها بالالتقان .

ويروى الدكتور محفوظ أنه قد أخذ فى الاستعانة بالعينات الباثولوجية فى محاضراته على الطلاب ، وكان يواجه بعض صعوبات « فكان لزاما على أن أذل تلك الصعوبات بنفسى فعمدت الى تحضير نماذج Specimens بعيادتى الخاصة واشترت لذلك ثلثمائة وخمسين (برطمانا) زجاجيا من فرنسا لايداع العينات من الخارج أيضا وبعد بضع سنين من عمل

متواصل أتممت تحضير ثلثمائة عينة من عملى الخاص وكنت
أحضرها معى أثناء التدريس للطلبة وأخيرا أودعتها غرفة خالية
بمدرسة الطب • واتفق أن سافرت عقب ذلك الى أوربا صيفا
وفى أثناء غيابى خطر لأحد أصدقائى المساعدين فى قسم
الباثولوجيا أن يؤدى لى خدمة بأن يستعوض المحاليل الموضوعة
فيها النماذج بسائل آخر اكتشفه هو ، وكان يعتقد أنه يفضل
السوائل التى اعتدت استعمالها ، فلما عدت من سفرى وجدت
أن الثلثمائة عينة التى بذلت فى جمعها الجهد والزمن قد اعترأها
التلف ودب فيها الفساد فصارت لا تصلح لشيء فأخذت فى
اعداد نماذج جديدة غيرها كابدت فى جمعها الكثير من
المتاعب •

» وقد عرضت هذه النماذج فى المؤتمر الطبى الذى عقد
بمدينة القاهرة عام ١٩٢٩ بمناسبة مضى مائة سنة على تأسيس
مدرسة الطب المصرية فأشار الكثيرون من العلماء الذين حضروا
المؤتمر على مدير المدرسة أن يخصص غرفة تصلح لحفظ هذه
النماذج ولتكون نواة لمتحف خاص بأمراض النساء والولادة ،
وقد تم ذلك • ثم داومت على تغذية المتحف بالنماذج حتى بلغت
١٥٠٠ نموذج ، ثم رأيت أن أعرض على مدرسة الطب وقد
صارت كلية تابعة لجامعة فؤاد الأول فى سنة ١٩٣٠ أن أقدم

لها هذا المتحف كهدية فقبلته • وقد بذلت جهدي في القيام بوصف كل العينات وصفا دقيقا ، ووضعت وصف كل نموذج في اطار زجاجي خاص معلق بجانبه ثم أخذت من الأورام قطاعات ميكروسكوبية وعملت لها صورا فوتوغرافية وضعتها في اطرارات خاصة ، ونشرت بعد ذلك دليلا للمتحف قامت الكلية بطبعه وقد نفذت نسخه جميعها ، ثم قمت بتحضير صور للنماذج كثير منها بالألوان وصورت بعضها بالفوتوغراف • وأررفت الرسوم بالشرح • وقد قسمت المتحف الى ثلاثة أقسام أحدها للولادة الطبيعية والمتعصرة والأمراض النسائية والأمراض التي تصيب الحوامل والوالدات ، والقسم الثاني ويشمل تشريح الأعضاء الحوضية في حالتى الصحة والمرض أما القسم الثالث فخاص بالأجنة (المتلهوجة) ويشمل كل الأحوال الشاذة المعروفة حتى اليوم •

ويحدثنا الأستاذ الدكتور سرور بك أستاذ الباثولوجيا الكبير الذى كان من حظ الدكتور محفوظ أن يتابع معه باثولوجيات النماذج عن جهد الدكتور محفوظ فى انشاء المتحف فيقول :

« كانت أول معرفتى بالدكتور محفوظ (كأستاذى) لأمراض النساء والولادة عام ١٩٠٨ عندما كنت طالبا بمدرسة الطب •

وبعد تخرجى ثم عودتى من الارسالية عام ١٩١٩ اشتغلت بقسم
الباثولوجيا وهنا ابتدأت صلتى القريبه به .

« كان الدكتور محفوظ باشا أكثر الجراحين زيارة لقسم
الباثولوجيا باحثا مدققا وكثيرا ما كان يحمل بنفسه النماذج
المرضية والأورام المأخوذة من عملياته الجراحية فى أمراض
النساء والولادة الى المعمل ، فكنا نعكف على درسها بالعين
المجردة ثم يتركها ليعود ثانية ليرى بنفسه المظاهر المكروسكوبية
من هذه العينات مع ما يصحب ذلك من المناقشات العلمية
ومراجعة المؤلفات العديدة ، وكانت نتيجة ذلك أن هذا الجراح
العظيم أصبحت له القدرة على أن يصبح تشخيصه الاكلينكى
مرآة صادقة لما يظهره الفحص الباثولوجى والتشخيص
الميكروسكوبى ومتفقا معه تماما بدرجة من الدقة كانت تجعلنى
أهتز عجباً لتشخيصه المدهش !

« وقد كان اهتمام محفوظ باشا (ليس فى زيادة عدد العينات)
بل فى اتقاء اللائق منها وشرحه شرحا دقيقا وتبويه بحسب
العضو المصاب . وقد استعمل العينات فى محاضراته وبنى
عليها أبحاثا نشرت فى مقالاته العديدة مثل تمزق الرحم الحامل
والحمل خارج الرحم والأورام الليفية وأورام الرحم والنواشير
البولية والنواشير الثفلية والسرطان السلائى ... الخ .

« وما يحسن ذكره في هذا المجال أن محفوظ باشا كان يحمل هذه العينات الى المتحف بنفسه ليتبع تحضيرها بنفسه من الألف الى الياء ويشرحها (شرحا دقيقا) • ومتى تم تحضير العينة كنا نبوبها في الدليل بعد أخذ قطاعات مكروسكوبية منها وكنا بعد ذلك نغنى بتدوين الشرح ونرصده في الدليل بكل عناية ، وكانت النتيجة أن محفوظ باشا كان يعرف كل عينة معرفة دقيقة ولا تخفى عليه دقيقة من دقائقها وقد استمر على العناية الفائقة بهذا العمل حتى بعد نواله ما نال من الشهرة العالمية • واني أذكر بالسرور أنه كان يدعوني الى حضور عملياته لأرى بنفسى علاقات الأورام وغيرها في حالتها الطبيعية والمراحل التى توصل الى التحضير النهائى للعينة وكان يجب الى أن أشاهد المريضات قبل العملية وبعد الشفاء » •

وفي عبارات أخرى يروى الدكتور رشدى اسماعيل القصة على النحو التالى :

من الأمور التى استلفت نظرى بصفة خاصة منذ بدأت عملى بالمستشفى القبطى مع صديقى وأستاذى الدكتور محفوظ باشا ، عنايته الفائقة بارسال كل ما نحصل عليه من الأورام أو متحصلات عمليات الكشف أو غيرها الى زميله الأستاذ سرور بك لفحصها وتقديم تقرير واف عنها ، ولهذه التقارير سجل خاص عنده يعنى بترتيبه والرجوع اليه ، والدكتور

سرور زامل الدكتور محفوظ باشا نيفا وثلاثين عاما ، جلسا معا في معمل الباثولوجيا يفحصان بعدسات المجهر ما دق من خلايا الأورام والأمراض ، انكبا معا على الكتب والمؤلفات قديهما وحديثهما يقتلانهما بحثا وتنقيا ، وعكفا يسجلان نتائج أبحاثهما ويقيدانها ، وطالما سمعنا من الأستاذ الدكتور محفوظ باشا كيف أخذت صلتهما تزداد توطدا يوما بعد يوم ، وكان يزوره محفوظ باشا بغير انقطاع في معمله في الأثناء التي كانا يحضران فيها بحثهما القيم عن الأورام المبيضية الذي قدماه للمؤتمر المئوي لمدرسة الطب الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٢٩ ثم ما تلا ذلك من الأبحاث التي نشرها محفوظ باشا ، ثم بلغت هذه الصلة أتمها عندما أخذ محفوظ باشا في وضع موسوعته الأخيرة التي ضمت عددا عظيما من الصور الميكروفوتغرافية ازدان بها الكتاب .

ويعتز الدكتور محفوظ بما ورد في التقرير الذي قدمه السير أردلي هولند وكان رئيسا لكلية المولدين وأطباء أمراض النساء الملكية بلندن والذي انتدبته الحكومة المصرية سنة ١٩٤٥ ليضع تقريرا عن أقسام الولادة وأمراض النساء بكليتي القاهرة والاسكندرية وقد جاء فيه ما يأتي :

« ان أى تقرير عن كليات الطب المصرية لا يكون كاملا اذا خلا من الاشارة الى المتحف النادر المثال الذي أهدها

الدكتور محفوظ باشا الى كلية الطب والذي بلغت نماذجه أكثر من ثلاثة آلاف نموذج مشروحة كلها شرحا علميا وافيا في خمسة وعشرين مجلدا . ولاشك مطلقا في أن متحفا كهذا لا نظير له في العالم أجمع لا من ناحية النماذج النادرة التي احتواها فحسب بل من ناحية البحث العلمى الدقيق لكل نموذج فيه ، الأمر الذى يجعله مرجعا علميا ممتازا ذا مركز هام للتقدم العلمى ، ولى كل الأمل فى أن تعمل الحكومة الترتيبات اللازمة للمحافظة على هذا المعهد لاستمرار تقدمه ودوامه وأن يصبح موردا تستمد منه المتاحف العلمية الأخرى النماذج المكررة حتى يعم نفعه » .

وهذا هو ما حدث بالفعل فقد استعانت كليتا الطب الناشئتان فى الاسكندرية وعين شمس بنماذج من هذا المتحف بل امتدت الافادة من عيناته الى كليتى غوردون بالخرطوم والكلية الملكية للجراحين فى لندن .

وكان قد تقرر فى أثناء عمادة الدكتور شوقى باشا وضع تصميم خاص لبناء مستقل لمتحف نجيب محفوظ .

الباب السادس

بيلوجرافيا

الفصل الاول

مؤلفات نجيب محفوظ

اولا : كتب في الطب باللغة العربية

- ١ - فن الولادة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٥٨ ، (صدرت الطبعة الاولى سنة ١٩٠٥ من ٧٣٠ صفحة) .
- ٢ - امراض النساء العملية (الطبية والجراحية) .
- ٣ - مبادئ امراض النساء الطبعة الرابعة (١٩٥٨) . صدر قبله امراض النساء .
- ٤ - الثقافة الطبية والطب النسوى عند العرب .

ثانيا : كتب في الأدب باللغة العربية

- ٥ - حياة طبيب .

ثالثا : كتب في الطب باللغة الانجليزية

6. The History of Medical Education in Egypt.
7. Mahfouz Atlas — 3 Volumes.

رابعا : مقالات وكلمات تذكارية

- كلمته في تكريم على باشا ابراهيم في الاحتفال بيوبيله الستين - المجلة الطبية المصرية ، ١٩٤٠ ، ص ٩٦٥ .

خامسا : بحوث طبية في لغات مختلفة

١ - التعديلات والتحسينات التي ادخلها على عملية « الكسندر آدامز » لتقصير الأربطة المبرومة في علاج انثناء الرحم الى الوراء .

1. The Treatment of Retroflexion of the Uterus by a modified method of shortening of the round ligaments. Transaction of the Khedivial Society 1908 (French).

٢ - العملية القيصرية ، وكيف يجب ان تعمل في الحالات التي تكون العفونة فيها قد تطرقت الى الرحم .

2. Caesarian Section when the uterus is infected. The Egyptian Medical Review 1917, 1st. Year No. 5 Page 1 (Arabic).

٣ - الاخطاء التي يمكن حتمولها في تشخيص الحالات الفامضة من الحمل خارج الرحم وكيف نتوقاها « المجلة الطبية المصرية سنة ١٩١٧ » .

3. The difficulties met with in the Diagnosis of certain cases of Ectopic Prepnancy. The Egyptian Medical Review 1917, 1st. Year No. 1 Page 34 (Arabic).

٤ - استعمال التخدير النصفى في عمليات الولادة وأمراض النساء - ١٨٠٠ حالة - وتعليق رئيس تحرير مجلة « اللانست » الطبية The Lancet

4. The Routine use of Stovaine Spinal Analgesia in Synoecology. The Lancet, August 3, 1918, Page 141 and Annotations, P. 150.

٥ - التخدير النصفى بالاستوفايين فى الولادة وامراض النساء . « المجلة الطبية المصرية سنة ١٩١٨ صفحة ٢٤١ » .

5. Spinal Analgesia in Synoecology & Obstetrics. Egyptian Medical Review 1918 2nd. Year No. 7 Page 241 (Arabic).

٦ - تاريخ الولادة وامراض النساء من اقدم العصور الى اليوم ، مع شرح تفصيلى دقيق لما تم فى عهد العرب ، « المجلة الطبية المصرية سنة ١٩٢٠ صفحة ١٥٨ » .

6. The History of Cynoecology & Obstetrics with special reference to the Arabian Era. The Egyptian Medical Review 1920 3rd. Year No. 5 Page 158 (Arabic).

٧ - علاج العقم عند النساء . « المجلة الطبية المصرية سنة ١٩١٤ صفحة ٣٣٩ » .

7. The treatment of Sterility in Women. The Egyptian Medical Review 1924 7th. Year No. 6 Page 338 (Arabic).

٨ - امراض الرحم الخبيثة (مع الدكتور انيس أنسى) . « المجلة الطبية المصرية سنة ١٩٢٦ » .

8. Malignant Disease of the Uterus (with Dr. Anis Onsy). The Egyptian Medical Review 1926, 9th. Year, No. 6, Page 399 (Arabic).

٩ - استعمال البتيوترين فى الولادة - اخطاره على الام

والجنين . « المجلة الطبية المصرية سنة ١٩٢٨
صفحة ١٧٨ » .

9. The use of Pituitrin in Obstetrics. The dangers to mother & foetus. The Egyptian Medical Review 1928, 11th. Year, No. 3, Page 179.

١٠- العملية القيصرية والمقارنة بين الطرق المختلفة (دوبرين
ومحفوظ) شرح تفصيلي ومقارنة لخمسين حالة عملت
في الجزء العلوي للرحم وخمسين حالة في الجزء السفلي
للرحم . « نشرت في سجلات المؤتمر الدولي » .

10. Caesarian Section — A series of 100 consecutive cases 50 upper and 50 lower uterine segment (with Prof. Dobbin).

١١- الأورام والأكياس المبيضية — بحث دقيق عن ٣٥٧
حالة . « نشر في مجلة الولادة وأمراض النساء
للامبراطورية البريطانية سنة ١٩٢٩ . المجلد رقم ٥ » .

11. Ovarian Cysts & Tumours — A study of 357 cases. The Journal of Obstetrics & Gynaecology of the British Empire, Vol. 36, No. 3, Year 1929.

١٢- النواسير البولية والنواسير التي تحدث بين المستقيم
والمهبل . « نشرت في مجلة الولادة وأمراض النساء
للامبراطورية البريطانية سنة ١٩٢٩ المجلد رقم ٣ » .

12. Urinary and Foecal Fistulae in Women. The Journal of Obstetrics & Gynaecology of the British Empire,

١٣- بحث جديد في النواسير البولية عند النساء . « نشرت
في مجلة الولادة وأمراض النساء للامبراطورية
البريطانية سنة ١٩٣٠ صفحة ٥٦٦ » .

13. Urinary Fistuloe in Women. The Journal of Obstetrics & Gynaecology of the British Empire, Vol. 37. No. 3 Autumn 1930 Page 566.

١٤- علاج المضاعفات التي تنشأ عند النساء بسبب العدوى بالسيلان . « المجلة الطبية المصرية سنة ١٩٣١ المجلد ١٤ ، الصفحة الأولى » .

14. The Treatment of Chronic Gonorrhoeal Complications in Women. The Egyptian Medical Review, Jan. 1931 Vol. 14. No. 1.

١٥- الطرق الحديثة في اتقاء وعلاج الحمى النفاسية . « المجلة الطبية المصرية سنة ١٩٣١ صفحة ٥٦٠ » .

15. Recent Advances in the Prophylaxis and Treatment of Puerperal Sepsis. (Read before the Egyptian Syrian Congress, July 1931) (English). Journal of Egyptian Medical Association, Nov. 1931, Pages 560 — 566.

١٦ - بحث في الأورام الخبيثة للأعضاء الحوضية في القذز المصري . « تلى ونشر في سجلات مؤتمر سنة ١٩٣٤ » .

16. The Incidence and Course of Malignant Diseases of the Pelvic Organs (Read before the 5th Congress of the Egyptian Medical Association 1932).

١٧- بحث في اسباب سقوط الرحم مع عرض قطاعات تشريحية لخمسة أحواض نسائية بمحتوياتها تبين التغيرات الباثولوجية في هذا المرض « تلى ونشر في سجلات مؤتمر سنة ١٩٣٢ وفي المجلة الطبية المصرية » .

17. The Anatomy of Procidentia, with dissections of 5 pelves to demonstrate the pathological conditions met with in Procidentia. (Read before the 5th. Congress of the Egyptian Medical Association 1932).

١٨- علاج تمزق الرحم أثناء الولادة ، مع لفت النظر الى خطورة الجراحة في هذه الاحوال ، وكيفية اتقاء الاخطار .

وهذا البحث كان هو البحث المنتخب لافتتاح مؤتمر المائتى سنة للاتحاد الطبى البريطانى . « تلى بالمؤتمر ونشر بمجلة الولادة وامراض النساء للامبراطورية البريطانية سنة ١٩٣٢ صفحة ٧٤٢ » .

18. The Conservative Treatment of Rupture of the Uterus. (Read before the Centenary Congress of the British Medical Association 1932) Journal of Obstetrics & Gynaecology Winter Number 1932 Page 748.

١٩- الجراحة التى ابتكرها « محفوظ » لوصل المثانة بقناة مجرى البول اذا انعدم عنق المثانة بسبب عسر الولادة . « مؤتمر الجمعية الطبية المصرية بأورشليم سنة ١٩٣٣ ونشر بالمجلة » .

19. A new procedure for restoring the function of the bladder when the neck of the latter has sloughed away as a result of labour. (Read before the 6th. Congress of the Egyptian Medical Association Jerusalem 1933).

٢٠- ملاحظات عن اسباب سقوط الاعضاء التناسلية عند

النساء ، وهو المقال الذى افتتحت به الجمعية
الجراحية سنة ١٩٣٤ ونشر بمجلتها .

20. Some Observations on the Actioloyand Triatment of
Prolapse of the Pelvic Organs. (The Proceedings of
the Surgical Society of Egypt June 1934 Page 26).

٢١- أسلوب جراحى جديد ابتكره « محفوظ » فى علاج
النواسير بين العنق والمستقيم ، وكانت قبل ذلك غير
قابلة للشفاء . « مجلة الولادة وامراض النساء
للامبراطورية البريطانية . مجلد ١٤ رقم ٥
صفحة ٣٧٩ » .

21. A New Technique in dealing with Superior Recto
Vaginal Fistulae. (The Journal of Obstetrice &
Gynoeology of the British Empire) Vol. 41, No. 4
Page. 59).

٢٢- الحمل خارج الرحم . « تلى هذا البحث فى كلية
الدراسات العليا (هامرسمىث) Hammersmith
بلندن ونشر فى مجلة الولادة وامراض النساء
للامبراطورية البريطانية . المجلد ٤٥ رقم ٢
صفحة ٢٠٩ » .

22. Ectopic Pregnancy. (Read at the Hammersimth
Post-graduate College — London). Journal of Ob-
stetrics & Gynoeology of the British Empire, Vol.
45, No. 2 Page 209).

٢٣- النواسير البولية والنواسير الثفلية عند النساء .
شرح الجراحات الجديدة التى ابتكرها « محفوظ »
« تلى هذا البحث بكلية الدراسات العليا بهامرسمىث

بلندن ونشر في مجلة الولادة وامراض النساء
للإمبراطورية البريطانية . مجلد ٤٥ رقم ٣
صفحة ٤٠٥ » .

23. Urinary & Foecal Fistulae. (My new techniques in dealing with them). Journal of Obstetrics & Gynecology of the British Empire, Vol. 45, No. 3, Page 405). Read at the Hammersmith Post-Graduate College — London.

٢٤ — الأخطاء الفنية في عملية لوسن تيت Lawson Tait
والجراحة التي ابتكرها « محفوظ » لاصلاح هذه
الأخطاء ، مع عرض فيلم سينمائي يبين العملية وحالة
المریضة قبل الجراحة وبعدها (ألقى هذا البحث
في جامعة أكسفورد) .

24. Technical faults in Lawson Tait's perinaeorrhaphy.
Colour film demonstrating my technique (35
minutes), (Read at Oxford University).

٢٥ — الجراحات الجديدة التي ابتكرها « محفوظ » لعلاج
الأمراض التالية ، وقد كانت تعتبر غير قابلة للشفاء :

(أ) زرع الحالب في المثانة في نواسير القبوة عن
طريق المهبل .

(ب) طريقة « محفوظ » في اصلاح المثانة عندما ينعدم
جدارها الخلفى مع الجدار المثانى المهبلى على
أثر ولادة عسرة .

(ج) طريقة « محفوظ » في وصل المثانة بقناة مجرى
البول عندما ينعدم عنق المثانة على اثر الولادة

العسرة . وعرض فيلم سينمائي بالألوان يبين خطوات هذه الجراحات وحالة المريضة قبل الجراحة وبعدها ويستغرق عرضه ٢٥ دقيقة .

25. New techniques for the following lesions which were hitherto considered inoperable-

- 1) Transplantation of the ureter into the bladder by the vaginal route.
- 2) Repair of the bladder in cases in which the entire base of the bladder had been lost through sloughing of the anterior vaginal wall.
- 3) Anastomosis of the bladder and urethra in cases of sloughing of the neck of the bladder. A colour film showing the different steps of the operation and the condition of the patient before and after. (45 minutes).

٢٦- جراحتان مبتكرتان لشفاء النواسير الكائنة بين منق الرحم وقبة المهبل والمستقيم :

(١) عمل الجراحة عن طريق المهبل .

(ب) عمل الجراحة عن طريق البطن .

مع عرض فيلم سينمائي بالألوان يستغرق عرضه ٢٢ دقيقة .

26. Two new techniques showing the steps of my operations for cure of recto-cervical fistulae which were considered inoperable with colour films demonstrating the operations.

By the vaginal route.

(Colour film 33 minutes). (Read and demonstrated at the University of Oxford).

٢٧- محاضرة باللغة الفرنسية مع عرض سينمائي بالألوان في جامعة « جنيف » بين الجراحات التي ابتكرها « محفوظ » لعلاج الناسور العنقي المستقيمي ، وقد كانت قبلا تعتبر غير قابلة للشفاء .

27. Lectures delivered at the Geneva University (in French).

1) The causation and treatment of recto-vaginal fistuloe.

2) Demonstration by colour film of my operations for cases hitherto considered inoperable.

٢٨- محاضرة وعرض فيلم سينمائي بالألوان عن الجراحات التي أجراها « محفوظ » لشفاء سلس البول ، في قاعة محاضرات الجمعية الملكية .

28. Lecture & film demonstrations of all the new techniques I devised for dealing with conditions of incontinence of urine that were considered inoperable at (The Royal Society of Medicine).

٢٩- محاضرة باللغة الفرنسية مع عرض فيلم سينمائي عن الجراحات التي ابتكرها « محفوظ » لعلاج التواسير البولية التي كانت قبل ذلك غير قابلة للشفاء - بجامعة « لوزان » .

29. Lecture in French at Lausanne University. Description and demonstration of my new operations for the cure of conditions of incontinence of faeces that were considered inoperable with demonstration by colour films.

٣٠- المحاضرة السابقة - في جامعة ادنبرة .

30. The same as 29. Delivered at the University of Edinburgh.

٣١- السرطان السلاني (مع الدكتور اسماعيل) . مجلة
الولادة وامراض النساء للامبراطورية البريطانية
سنة ١٩٣٩ .

31. Chorion Epithelioma (with Dr. Ismail).
(Journal of Obstetrics and Gynaecology of the
British Empire 1939).

٣٢- اورام الرحم الليفية (مع الدكتور مجدى) مجلة
الولادة وامراض النساء للامبراطورية البريطانية .

32. 32. Fibroids of Uterus (with Dr. Magdy).
(Journal of Obstetrics & Gynaecology of the British
Empire).

٣٣- النزف قبل الولادة (مع الدكتور مجدى) . مجلة
الولادة وامراض النساء للامبراطورية البريطانية
سنة ١٩٤٠ .

33. Ante Partum Haemorrhage (with Dr. Magdy).
(Journal of Obstetrics & Gynaecology of the British
Empire 1940).

٣٤- السيلان عند السيدات في المؤتمر الطبى العربى الثالث
المجلة الطبية المصرية (فبراير ومارس ١٩٣٠) .

کتابات عن الدكتور نجيب محفوظ باشا

- (١) د. ابراهيم شوقي (باشا) :
- كلمته في حفل سمراميس في كتاب « الدكتور
نجيب محفوظ كما نعرفه » ص ٣ - ٤ .
- (٢) د. ابراهيم باشا فهمى المنيلاوى ص ١٠ - ١٢ .
- كلمته في حفل سمراميس في كتاب « الدكتور
نجيب محفوظ كما نعرفه » ص ٣ - ٤ .
- (٣) د. ابراهيم مجدى باشا :
- استاذى نجيب محفوظ باشا ص ١٥ .
- (٤ - ٦) احمد الصاوى محمد :
- ما قل ودل الاخبار ٢٩/٢/١٩٦٣ .
- يوميات الاخبار .. حياة طبيب
الاعخبار ١٢/٩/١٩٦٣ .
- ما قل ودل الاخبار ٢٩/٧/١٩٧٤ .
- احمد عطية الله :
- عظماؤنا في عهد التلمذة . مقال نشر في مجلة المصور
- (٨ - ٩) الاخبار :
- دراسات اوسع الاخبار ١٠/٢/١٩٦٠ .
- حياة طبيب يقرؤه
يحيى حتى
- الاعخبار ٤/١٠/١٩٦٣ .

اخبار الاكاديمية :

(١٠)

(تصدرها اكاديمية البحث العلمى
والتكنولوجيا) رجال خدموا العلم فكرمتهم الدولة
اخبار الاكاديمية ١٩٧٢ .

(١١ - ١٣) اخبار اليوم :

— خمسون عاما فى بعث الحياة
اخبار اليوم ١٩/٤/١٩٥٢ .
— من هى الراقصة المشهورة التى كتب عنها
الجراح العالمى نجيب محفوظ فى مؤلفه حياة
طبيب . تحقيق صحفى
اخبار اليوم ٢٨/٩/١٩٦٣ .
— اول من اهتم بامراض المرأة الخاصة
اخبار اليوم ٢٧/٧/١٩٧٤ .

(١٤ - ١٦) آخر ساعة :

— الدكتور نجيب محفوظ ينجح حيث فشل اطباء
لندن آخر ساعة ٢٠/٢/١٩٥٧ .
— الدكتور نجيب محفوظ يحاضر فى لندن
آخر ساعة ٢١/٩/١٩٦٠ .
— محاضرات فى الدنمرك عن الطب عند الفراعنة
آخر ساعة ١/٣/١٩٦١ .

(١٧ - ٢١) الأهرام :

— ٤٠ سنة طب وتجارب وذكريات
الأهرام ١٢/٢/١٩٥٩ .

– صينية فضة للجراح الذى نال جائزة
الدولة .. دكتور نجيب محفوظ يتبرع
بـ ١٠٠٠ جنيه لنقابة الأطباء

• الأهرام ١٢/٢٦/١٩٦٠ .

– ٢٢ طبيب ولادة عند نجيب محفوظ
• الأهرام ٢/٢٧/١٩٦٤ .

– الدكتور نجيب محفوظ يجيب عن كل الأسئلة
التي تحير كل حامل الأهرام ٣/٢٢/١٩٦٧ .

– وفاة الدكتور نجيب محفوظ رائد امراض
النساء والولادة الأهرام ٧/٢٦/١٩٧٤ .

(٢٢) **ايماج :**

Dr. Naguib Mahfouz Prix National Pour Les
Sciences

١٩٦١/١/٧

(٢٣) **دكتور بولجاكوف :**

– كلمة مترجمة عن الانجليزية فى كتاب « الدكتور
نجيب باشا محفوظ كما نعرفه » ص ٢١ – ٢٢ .

(٢٤) **جرجس حلمى عازد :**

– مع اول استاذ لامراض النساء فى الشرق
وطنى ٢/١٤/١٩٦٠ .

(٢٥ – ٢٨) **الجمهورية :**

– جائزة الدولة فى العلوم للدكتور نجيب محفوظ
• الجمهورية ٥/٢٦/١٩٦٠ .

— لماذا منحت الدولة نجيب محفوظ الجائزة
التقديرية في العلوم .. رأى اما تموت فاقسم
أن يهب حياته لكل الأمهات

• الجمهورية ٢٨/٥/١٩٦٠

— من أديف العلم الجمهورية ٣٠/٥/١٩٦٠

— س وج مع الدكتور نجيب محفوظ

• الجمهورية ١٢/١٠/١٩٦٢

(٢٩ - ٣٠) مجلة الجيل :

— فيلم ملون للدكتور نجيب محفوظ

• الجيل ٢٣/١/١٩٥٦

— دموعة الجيل ١٩/١٢/١٩٦٠

(٣١) حسن شاه :

الطبيب الفائز بجائزة الدولة يدعو لتحديد النسل

• الأخبار ٢٨/٥/١٩٦٠

(٣٢) حمدي لطفى :

ولد ؟ بنت ؟ ولد ؟ بنت ؟ المصور ١/٦/١٩٦٢

(٣٣) د. رشدي اسماعيل :

الدكتور نجيب محفوظ باشا كما أعرفه

• ص ١٦ - ص ٢٠

(٣٤) زينب محمد حسين :

رجل عاش لينقد الأمهات والمواليد

• مجلة الاذاعة ٤/٦/١٩٦٠

- (٢٥) سليمان عزمى باشا :
كلمته في الحفل الذى اقيم لتكريم نجيب محفوظ ، من كتاب الدكتور نجيب محفوظ
ص ٥ - ٧ .
- (٢٦) صلاح جلال :
نجيب محفوظ يساوى ونستون تشرشل
وفلمنج مكتشف البنسلين آخر ساعة ١٩٦٠/٦/١
- (٢٧) د. طه حسين :
حياة طبيب للدكتور نجيب محفوظ ..
حديث السبت الاخبار ١٩٦٥/٤/٣ .
- (٢٨) عبد التواب عبد الحى :
الطبيب الذى منح جائزة الدولة .. ٥٨ سنة
في طب الحياة المصور ١٩٦٠/٦/٣ .
- (٢٩) عزيزة ثابت :
حول نجيب محفوظ آخر ساعة ١٩٦٠/٦/١ .
- (٤٠) على امين :
فكرة الاخبار ١٩٦٣/٩/١٩ .
- (٤١) كمال الملاخ :
بدون عنوان .. (حول حياة طبيب)
الأهرام ١٩٦٦/١٠/٤ .

- (٤٢) الكواكب :
ملكرات نجيب محفوظ فى الاذاعة
الكواكب ١٩٧٠/١/٢٧ .
- (٤٣) د. محمود اسماعيل :
نجيب محفوظ باشا ص ١٣ - ١٤ من
كتاب الدكتور نجيب محفوظ .
- (٤٤) د. محمود فاضل سليم :
صديقى واستاذى نجيب محفوظ ص ٣١ - ٦١
من كتاب الدكتور نجيب محفوظ .
- (٤٥) مسعد صادق :
الطبيب الذى نال جائزة الدولة للعلوم
وطنى ١٩٦٠/٥/٢٩ .
- (٤٦) د. مصطفى بك فهمى سرور :
نجيب محفوظ باشا كما اعرفه ص ٨ - ٩
من كتاب الدكتور نجيب محفوظ .
- (٤٧) المصور :
الدكتور نجيب محفوظ
١٩٦٠/٦/٢٤ .
- (٤٨) موسى صبرى :
يوميات الاخبار .. كيف آمنت بالله
الاخبار ١٩٦٣/١١/١٥ .
- (٤٩) نكسون (البروفيسور) :
نص المحاضرة التى اذاعها استاذ الولادة بجامعة

لندن من دار الاذاعة البريطانية في ٢٦/٥/١٩٥٠
ص ٦٣ - ٦٦ من كتاب الدكتور نجيب محفوظ
تكريم وتقدير .

(٥٠) **وجدى رياض :**

٣٠٠ سيدة تحت التجربة . هل تعمم الولادة
بالبنج ؟ رأى الدكتور نجيب محفوظ
الأهرام ١٢/٤/١٩٦٩ .

(٥١) **وطنى :**

حياة طبيب للدكتور نجيب محفوظ
وطنى ٢٢/٩/١٩٦٣ .

(٥٢) **دكتور مهندس يوسف سمكة :**

الدكتور نجيب محفوظ طبيب امراض النساء
والولادة دار المعارف الطبعة الاولى ١٩٦٣ ،
الطبعة الثانية ١٩٦٩ تكريم وتقدير .

مطبوعات خاصة فى اللغات الاجنبية

المكتب الثقافى المصرى بلندن :

Pamphlet on his book of history of medical education
in Egypt. 36 p. Dec. 1947 with foreword by Ahmed Hosam
el Din.

كتب اخرى للمؤلف :

- ١ - الدكتور محمد كامل حسين عالما ومفكرا واديبا
(الكتاب الفائز بجائزة مجمع اللغة العربية الاولى
في الادب ، ١٩٧٨) .
- ٢ - مشرفة بين النرة والذروة (الكتاب الفائز بجائزة
الدولة التشجيعية في ادب السير والتراجم ،
سنة ١٩٨٣) .
- ٣ - احمد زكى : حياته وفكره وادبه .
- ٤ - كلمات القرآن التى لا نستعملها (دراسة تطبيقية
لنظرية العينات اللفظية) .
- ٥ - يرحمهم الله : كلمات فى التباين .
- ٦ - ما يسترو العبور المشير احمد اسماعيل .
- ٧ - سماء العسكرية المصرية الشهيد عبد المنعم رياض .
- ٨ - من بين سطور حياتنا الادبية .
- ٩ - الدكتور على ابراهيم يد من حديد ، ويد من حرير .
- ١٠ - الدكتور سليمان عزمى ، اول اطبائنا الباطنيين .
- ١١ - الدكتور نجيب محفوظ ، رائد امراض النساء
والتوليد .

فهرس

الصفحة

| | |
|-----|--|
| ٣ | اهـاء |
| ٥ | مقدمة المؤلف |
| ١٥ | الباب الأول : حياة نجيب محفوظ |
| ٥٣ | الباب الثاني : شخصية نجيب محفوظ |
| ٧٣ | الباب الثالث : نجيب محفوظ عالما وطيبا |
| ٩٧ | الباب الرابع : قدرات نجيب محفوظ البيانية |
| ٩٨ | الفصل الأول : فى كتابة السيرة الذاتية |
| ١٠٩ | الفصل الثانى : فى التأليف العلمى |
| ١١٤ | الفصل الثالث : فى كتابات الدكتور نجيب محفوظ |
| ١٣١ | الباب الخامس : آثار نجيب محفوظ العلمية |
| ١٤٧ | الباب السادس : بيلوجرافيا |
| ١٤٨ | الفصل الأول : مؤلفات نجيب محفوظ |
| ١٥٩ | الفصل الثانى : كتابات عن الدكتور نجيب محفوظ |

رقم الايداع ٨٦/٥٣٦٩

الترقيم الدولى ٢ - ١١٣٩ - ٠١ - ٩٧٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

his time and the time of people how he managed to balance between what his work dictated for his time and what he devoted of time for the purpose of scientific research how he chose a model for himself out from the world of spiritualism.

The third chapter displays the personality of the scientist in Dr. N. Mahfouz and how such personality grew up day by day to fulfil its pioneering task in the field of Obstetrics and Gynecology. Needless to say, this Chapter includes the opinions of some of his fellows in that respect.

The fourth chapter is devoted for the abilities and talents of Dr. N. Mahfouz. In a simple way, the author tries to analyse these capabilities which were nothing but the expression and the product of a perfect scientific personality.

The fifth chapter is a brief account on the scientific treasures of Dr. N. Mahfouz and their high appraisal by the whole world. It also probes into the history of these accomplishments for which he devoted all the time sweat.

Lastly the sixth chapter is the complete bibliography of his own writings as well as of all what was written about him.

Dr. MOHAMED EL GAWADY

Resident of Cardiology

Zagazig & Cairo University

27 Dokki St., Cairo

Tel. : 3483481

and such financial status which was translated into an European way of life. Much more greater is the fact that he was not detached from the true cornerstones of civilization of which he himself was made as well as one of their fruits too. And the proof was that highly-standard scientific inheritance which was written in very eloquent Arabic language and that included all the medical branches of his specialization.

Dr. N. Mahfouz would be able to write his book in English only, but he virtually realized the important role of the scientist towards his country and he actually played that role perfectly.

The first chapter explores the life of Dr. N. Mahfouz — may we say «as God has meant it to be» starting from 1882 and concluding with the last honouring on the day his name — along with Dr. Ali Ibrahim were granted the « Republic Necklace » in the first « Doctor Festival » 1979.

The second chapter deals with Dr. N. Mahfouz as a person. The author tries to explore as much as possible all the aspects of greatness of such a self-made personality which firmly believed in the value of the quiet hard-working though he was not so much far as monks from the lights and he was not pompous either. He was a real example for all his fellows.

Moreover, this chapter tells us a glimpse of that deep down inside peace between Dr. Mahfouz and his inner-being... between him and people .. how much perfect his personality was .. how he led a straight way of life .. how keen he was to keep up the hectic pace on his way for fame and glory how always he respected

Dr. NAGIB MAHFOUZ

This book of Dr. Nagib Mahfouz the first among the obstetricians and gynaecologists in Egypt is one out of a series written by the author about those great men who were responsible for the quiet peaceful progress of this country. The series has been agreeably and appreciably received especially these books of Dr. Ali Ibrahim. Dr. Ahmed Zaki. Dr. Soliman Azmy and many others.

Dr. N. Mahfouz was a real self-made scientist. He taught himself in his own country and has come out with all the greatest experience and knowledge. He was granted such a long period of life that enabled him to accomplish a lot of the serious scientific work and enlight his remarkable career in and out his country. However doubtlessly considered a very outstanding phenomenon that had marked the great Islamic Civilization. Therefore, he has like his ancestors in the old centuries-played such a leading and outstanding role at the same time.

He was a Christian woven from within Egyptian society. His historical and true relationship With this society was a lot more deeper than that of many other individuals from those envoy classes during the latest periods of the Ottoman State.

Dr. N. Mahfouz has never been separate from this society even after attaining his international influence

Dr. NAGIB MAHFOUZ

(1882 — 1974)

Dr. MOHAMED EL GAWADY

General Egyptian Book Organization

1986